جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان/ كلية التربية
قسم اللغة العربية

الاستلزام الحواري في خطاب القرآن

(للنبي محمدﷺ)

رسالة تقدمت بها الطالبة

هبه جبار جاسم

إلى

مجلس كلية التربية في جامعة ميسان وهي جزء من متطلبات نيل
شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

صباح عيدان حمود

١٤٤٣هـ **٢٠٢١م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

﴿ صدق الله العلي العظيم﴾

[سورة الأحزاب:٢١]

الإهـــــداء

إلى ...

روح والدي الذي بذل الكثير في سبيل تربيتي وتعليمي وأعانني في إكمال هذه الرسالة لولا أن شاء القدر فتغمده الله بواسع رحمته.....(رحمه الله)

والدتي التي سهرت لراحتي..... وما فتئت تغمرني بدعائها.....(حفظها الله)

من وقف بجانبي خلال دراستي لهذه المرحلة وكان لي خير معين زوجي الغالي(حفظه الله)

من عانى كثيراً طوال انشغالي بإعداد هذا البحث... ولدي العزيز وفقه الله وجعله ذرية صالحة....

أخوتي وأخواتي..... (حفظهم الله)

وإلى أرواح من بذلوا دماءهم كي نبقى شهداء هذا الوطن وسوره من ابناء وطني (العراق).

هبة

شكر و امتنان

بعد الحمد والشكر لله تعالى لما أنعمه عليّ في إتمام هذه الدراسة، أتوجه بخالص شكري وامتناني إلى الأستاذ المساعد الدكتور(صباح عيدان حمود) الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الدراسة، والذي بحق كان لتوجيهه وإرشاده ومتابعته الدور الكبير والأثر الواضح في أن تكون هذه الدراسة بالشكل الذي انتهت إليه، فجزاه الله عني كل خير.

كما أتقدم بشكري وامتناني إلى جميع أساتيذ قسم اللغة العربية في كلية التربية في جامعة ميسان، لما قدّموه من معلومات قيّمة في سنوات الدراسة، التي أعانتني على إنجاز هذه الدراسة.

ولا بدّ لي من شكر الصديقة والأخت الأستاذ المساعد في جامعة بغداد (ساره رائد) التي مدت لي يد العون وكانت خير سند جزاها الله عني كل خير.

ولم يتبقَ إلا أن أقدّم شكري وامتناني واعتزازي إلى من عجزت ذاكرتي عن تذكره من كان يتمنى لي الخير في رسالتي وحياتي، والى من أعانني، وكل من ساهم في إتمام هذا الجهد المبارك وفقهم الله وسدد خطاهم.

الباحثة

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(الاستلزام الحواري في خطاب القرآن للنبي محمد (ص))** قد تمَّ بإشرافي في كلية التربية – جامعة ميسان وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ..

التوقيع:

أ. م. د. صباح عيدان حمود

التاريخ / / ٢٠٢١م

بناء على التوصيات المتوافرة ارشح هذه الدراسة للمناقشة ..

التوقيع:

أ. م. د. علي عبد الرحيم

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ / / ٢٠٢١م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة أننا اطّلعنا على رسالة الطالبة (هبه جبار جاسم) الموسومة بـ ((الاستلزام الحواري في خطاب القرآن للنبي محمد ص)) وقد ناقشناها في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ووجدنا أنّها جديرة بالقبول لنيل درجة شهادة الماجستير في (اللغة العربية) بتقدير(جيد).

صُدّقت من قبل مجلس كلية التربية / جامعة ميسان

التوقيع:

أ. د. هاشم داخل حسين

عميد كلية التربية

/ / ٢٠٢٠

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
المحتويات	و
المقدمة	١-٤
التمهيد: علاقة الخطاب القرآني بالاستلزام الحواري	٥-١٣
أولاً: الخطاب القرآني وتعريفاته:	٥-٧
ثانياً: علاقة الخطاب القرآني بالاستلزام الحواري:	٨-١٣
الفصل الأول: الاستلزام الحواري بين علماء العرب والغرب	١٤-٤٤
المبحث الأول: الاستلزام الحواري عند العلماء العرب	١٤-٢٤
المبحث الثاني: الاستلزام الحواري عند علماء الغرب	٢٥-٤٤
الفصل الثاني الاستلزام الحواري المعمم في الخطاب القرآني	٤٥-٧٨
توطئة	٤٥-٥٠
المبحث الأول: الاستلزام الحواريُّ المُعمَّم المُتولِّدُ بوساطة العلامات اللغوية(التنوين)	٥١-٦٢
المبحث الثاني: الاستلزام الحواريّ المُعمَّم(السلّمي) المُتولِّد بوساطة (الأسوار اللغوية)	٦٣-٧٨
الفصل الثالث: الاستلزام الحواري المخصص في الخطاب القرآني	٧٩-١٠٥
توطئة	٧٩
المبحث الأول: الاستلزام الحواري المخصص البسيط	٨٠-٩٣
المبحث الثاني: الاستلزام الحواري المخصص المركب	٩٤-١٠٥
الخاتمة	١٠٦-١٠٧
المراجع والمصادر	١٠٨-١٢٠
الملخص باللغة الإنكليزية	A-C

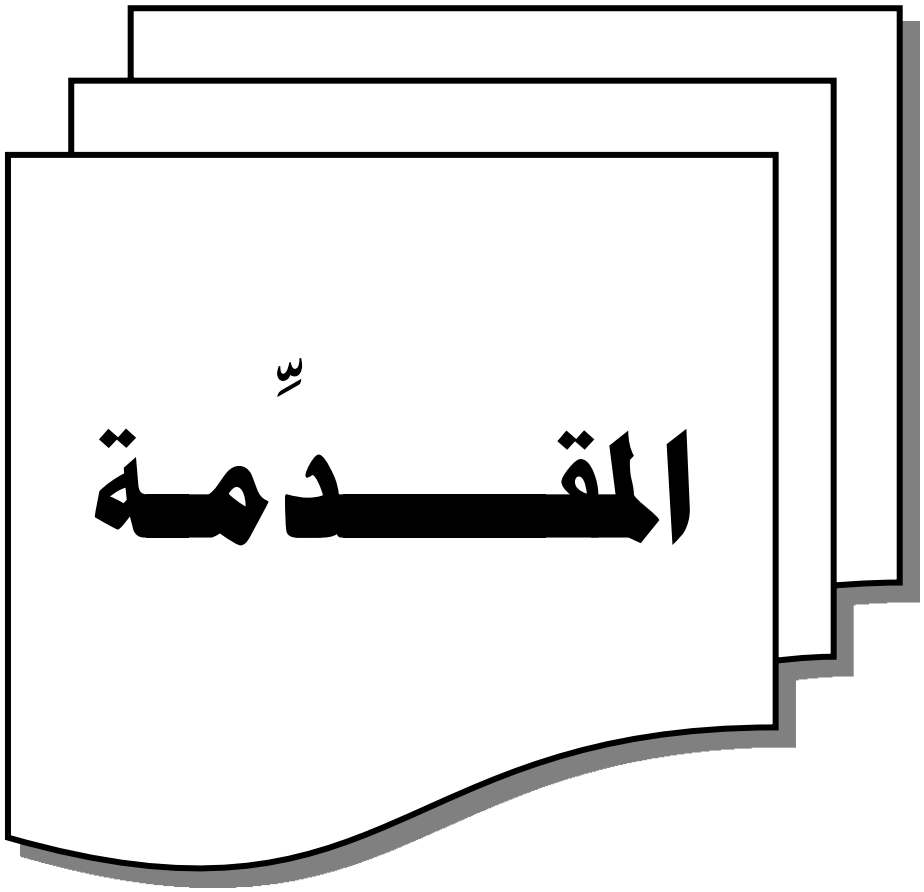

المقـــــدمة

المُقَدَّمةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير بريته النبي الصادق الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فقد حَظيَّ الخطاب ولا سِيَّما الخطاب القرآني بأهمية كبيرة في الدراسات اللغوية كونه يحتوي على علائق لغوية وآليات تُبنى عليها الأفكار البحثية، كونه يحمل من الاستراتيجية التلميحية ما يدفع بالمتلقي إلى البحث عن مكنونات ذلك الخطاب، ومن هنا جاءت فكرة البحث عن الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني، فكان الموضوع المقترح من المشرف الأستاذ المساعد الدكتور (صباح عيدان حمود) موسوماً بـ (الاستلزام الحواري في خطاب القرآن للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) إذ حاولت الباحثة فيه أنْ تطرح دراسة تُضاف إلى الدراسات التي سبقتها في الخطاب القرآني .

ولاشكَّ في أنَّ الدراسات المتقدمة على الصعيد اللساني كانت مدعاة للبحث وتفعيل نظرية الاستلزام وإعادة بنائها؛ لأنَّها أصبحت من آليات التواصل والتبليغ والإقناع، فضلاً عن قلة الدراسات في هذا المجال.

و وصلاً بما سبق فإنَّ أهمية موضوع الدراسة يكمن في أنّه يطمح إلى تحليل الخطاب القرآني ودراسته دراسة تداولية معاصرة، وذلك بوساطة الاستلزام الحواري والذي يُعد أهم أركان المنهج التداولي.

إنَّ رَصْدَ هذه الأبعاد والوقوف عليها، وتحليلها تداولياً وفق ما توصَّل إليه غرايس ونظرية الاستلزام الحواري يلتقي مع ما توصَّل إليه البحث اللساني الحديث ليس بالأمر اليسير، فذلك كله لا يتأتَّى إلاَّ ببذل الجهد في استيعاب ما يُطرح من

نتاج لساني في المنهج الجديد، والبحث عمَّا يُقارب هذا الطرح في موروثنا اللغوي، إذ أنَّ التأصيل لمثل هذه الدراسات يكشف عن عمق الفكر العربي الذي يصل مداه إلى حدود التداولية اليوم، والتأكيد على رَصْدِ الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني كان وراءه الإنجاز الذي حققه المنهج التداولي في الوقوف على دلالات الخطاب، إذ كشفت جملة من دراسات الباحثين المحدثين أنَّ للأبعاد التداولية عامَّة والاستلزام الحواري خاصَّة أهمية كبرى في تحليل الخطاب القرآني، والكشف عن معانيه وذلك بربطها بمحيطها الخارجي، وسياقها العام ، ورَصْدِ مقاصد ذلك الخطاب.

وتكمن أهمية هذا المنهج في أنَّه جاء بعد دراسات مكثَّفة أدَّت إلى تطور اللسانيات الحديثة، فعمل على إبراز هوية اللغة، ومعرفة حقيقتها، والكشف عن أفكار جديدة؛ لتحقيق الغاية في فهم الخطاب، فتعدَّى المنهج التداولي في تحليله للخطاب حدود الجملة إلى ما وراء المعنى، وصار تبعاً لذلك لزاماً تجاوز حدود الوصف إلى مجال التداول الفعلي للُّغة بين الخطاب ومتلقيه عِبْرَ تقنيات تأويلية تمكن من ذلك .

يقوم منهج الدراسة على الإحصاء للآيات الخاصة بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذ شمل الآيات التي ورد فيها ذكر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمختلف الدلالات ولم تشترط الدراسة الآيات الموجهة للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى المنهج التحليلي التداولي لتحليل هذه الآيات، وقد اقتضى موضوع الدراسة أنْ تقوم خطته على ثلاثة فصول يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة تُلَخَّصُ فيها أبرز نتائج البحث.

أمَّا التمهيد فقد اتجه نحو توضيح العلاقة بين التداولية والخطاب القرآني، كما ركَّز على الفرق بين النص والخطاب، كون هذه الدراسة تشمل الآيات القرآنية بوصفها خطاباً ذا أبعاد لغوية وغير لغوية.

أمَّا الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان **الاستلزام الحواري بين العرب والغرب**، ضم هذا الفصل مبحثين الأول تناول ملامح الاستلزام عند العرب ومفهومه لغةً

واصطلاحاً، ثُمَّ تناولنا في المبحث الثاني نشأة الاستلزام عند الغرب بشيء من التفصيل.

وكان الفصل الثاني تحت عنوان **الاستلزام الحواري المُعَمَّم في الخطاب القرآني**، ضم مبحثين أيضاً، سُلِّط الضوء في الأول منهما على مفهوم الاستلزام الحواري المُعَمَّم المتولِّد بوساطة العلامات اللغوية، ثُمَّ عرضنا نماذجاً تطبيقية من الآيات التي ذكر بها النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ومثَّلنا للاستلزام المُعَمَّم بوساطة العلامات فيها.

أمَّا المبحث الثاني فقد دار موضوعه في الاستلزام الحواري المُعَمَّم المتولِّد بوساطة الأسوار اللغوية، ومثَّلنا للاستلزام الذي يبحث في غير المنطوق في الخطاب عبر الآيات الخاصة بالنبي محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أمَّا الفصل الثالث والأخير فقد تضمن الاستلزام الحواري المخصَّص، تناولنا في الشق الأول منه موضوع الاستلزام المخصَّص البسيط، وقد استقصى البحث في هذا الموضوع مجموعة من النصوص التي تسعى إلى تقديم قراءة مختلفة للنص الواحد بغية الوصول إلى مبدأ التعاون في الخطاب القرآني.

والشق الثاني من هذا الفصل، وهو ما عُقِدَ تحت عنوان الاستلزام المخصَّص المركب، فقد بسَّطنا القول فيه عن مفهوم الاستلزام المركب وخرق مبادئ غرايس وكيفية التوفيق بينها وبين قدسية النص القرآني.

ثُمَّ ختمنا الكلام في جميع ما تقدم بخاتمة موجزة أبرزنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث بضمن مسيرته العلمية.

أمَّا المصادر التي اعتمدها البحث، فقدت اعتمدتُ في الدرجة الأولى على أهم التفاسير اللغوية والدراسات التداولية مثل كتاب التداولية عند العلماء العرب للباحث مسعود صحراوي، وكتاب نظرية التلويح الحواري للأستاذ هشام عبد الله خليفة، فضلا عن البحوث والرسائل التي عنيت بتطبيق المنهج التداولي.

أمَّا الصعوبات التي واجهت الباحثة فهي الحصول على المصادر كونها غير متوافرة كثيراً في المكتبات ، فضلاً عن قلة الدراسات الأكاديمية حول هذا الموضوع ؛ فضلاً عن المصطلحات الخاضعة لاجتهادات الترجمة أحياناً، واجتهادات الباحثين أحياناً أخرى ؛ فضلا عن الوضع الصحي الراهن بسبب الوباء الذي اجتاح العالم بأسره، وأزمة الحجر الصحي مِمَّا سبَّب صعوبة التنقل بين المكتبات ، وقد بدَّدت هذه الصعوبات الاستعانة بالله والالتزام بتوجيهات المشرف ونصائحه، فإن كان ثَمَّة نقص فإنَّ الكمال لله وحده ، وحسبي بهذا العمل إخلاص النية.

وأخيرا أتقدم بالشكر إلى أ. م. د **صباح عيدان العبادي** الذي بذل جهداً علمياً مضنياً من أجل أنْ يخرج هذا البحث ويرى النور بعد أنْ أدلى بملاحظاته العلمية القيمة التي كان لها الأثر البالغ في سداد ما اعوج من هذه الدراسة، فله مني خالص المودّة وغاية الاحترام، وأتقدم أيضاً بالشكر الموصول إلى **رئاسة قسم اللغة العربية وإلى أساتذتي التدريسيين** الأفاضل الذين أكنُّ لهم كلَّ الاحترام والتقدير فيما قدموه.

ولا أنسى أصحاب الفضل الكبير عليَّ عائلتي الكريمة التي كان لها يد بيضاء في إخراج هذا البحث وجني ثماره، وشكري لكلِّ من ساعدني وشدَّ من أزري بموقفٍ أو دعاءٍ بالخير، وكما ابتدأناها بحمده نختمها بالحمد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

التمهيد

التمهيد

علاقة الخطاب القرآني بالاستلزام الحواري

أولاً: **الخطاب القرآني وتعريفاته**:

الخطاب لغة : ورد في اللغة: ((الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ))[١]، وهو مصدر من خطب، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، وهو الكلام بين متكلم ومتلقٍ ، ومنْه اشتقاق الخُطْبة والخُطْبة: مصدر الخطيب. وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخِطبة قام في النادي فقال: خِطْبٌ، والخِطاب: مراجعة الكلام، وجمع الخطيب خُطَباء، وجمع الخاطِب خُطّاب، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان[٢] ، قال الله ﷻ : ﴿ **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** ﴾[٣] . يُقالُ في الموعظة خطب القوم عليهم، وجمعها خطب، وهو خطيب والجمع الخُطباء ، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم ، والخَطْبُ : الشأن ، وما خَطْبُك ؟ أي : ما شأنُك الذي تخْطِبْه ، والخَطْبُ: الحال ، والأمر صغُر أو عظُم [٤].

الخِطاب اصطلاحاً: الخِطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ولإيصال مقصد المتكلم، والمراد بخِطاب الله إفادة الكلام الأزلي [٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٩٨/٢.

(٢) ينظر: كتاب العين(مادة خطب)، الخليل بن أحمد الفراهيدي :٢٢٢/٤؛ لسان العرب(مادة خطب)، ابن منظور:٣٦١/١.

(٣) سورة هود ، الآية : ٣٧ .

(٤) ينظر: تاج العروس (مادة خطب)، الزبيدي ٣٧٦/٢ ؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي (مادة خطب) ، ١٧٣/١.

(٥) ينظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، لزين الدين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري : ٦٨ .

مِمَّا لاشكَّ فيه أنَّ الخِطاب الذي يستهدف التوجه للبشرية جمعاء يحتوي على سمات تواصلية أثَّرت في المتلقي وجعلته يمتثل لآلياته التأثيرية، ومن هنا فإنَّ الخِطاب القرآني ينماز بكونه خِطاباً ذا كفاية لسانية عالية، ونعني بالكفاية اللسانية تمكُّن المتكلم من استعمال اللغة عِبْرَ امتلاكه تقنيات مؤثِّرة وبلاغية ويمكن اختبارها بمدى قدرة المتكلم على اكتشاف الأخطاء على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية_ والصرفية_ والنحوية_ والمعجمية) واكتشاف مواطن اللَبسْ في الجمل اللغوية ، فكلَّما زادت قدرته على اكتشاف الأخطاء والتمييز بين المعاني المتعددة دلَّ ذلك على تمكُّنه من اللغة [١] ، مِمَّا يجعله أنموذجاً للخطاب التواصلي ؛ لذا ينبغي على متلقي الخطاب القرآني أنْ يكون متمتعاً بتلك الكفاية أيضاً حتى يتمكَّن من تأويل ذلك الخطاب وتبيين مقاصده ، وهذه المعارف اللسانية هي التي تُؤهل المتلقي إلى وعي وإدراك مضمون ذلك الخطاب ، والتي يمكن تحصيلها من القواعد العامة التي تحكم سيرورات عَقْدِ السُنَن وحلِّها، وتلك القواعد إذا ما أصبحت واضحة في مجموعها فهي سوف تُشكل نماذج الإنتاج والتأويل[٢].

إنَّ من أهم السمات التواصلية في الخطاب القرآني هي استهداف الأفكار التي يعتقد بها الإنسان ، فتلك الأفكار التي يتبنَّاها الإنسان تُمثِّل معتقداته سواء أكانت موروثة أم مكتسبة لا تمثِّل عناصراً مادية ملموسة ولا تخلو من معتقدات مغلوطة يَعدُّها العقل مسلمات ، وهي قد ترتبط ببعض القِيَم الإنسانية والمُثُل العليا كالنبل والإيثار والإحسان... و غيرها.

ومن المُسَلَّم به أنَّ الخطاب القرآني أتى ليُغيِّر معظم تلك العادات الموروثة، ويُبدِّلها بعادات أخرى ترتقي بالنفس البشرية؛ لأنَّ الخطاب القرآني في أصله بناء

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، د. محمد يونس علي / ٢٩.

(٢) ينظر: في التداولية المعاصرة والتواصل، ك . أوريكيوني / ٥٥.

لغوي معجز ، فسيكون حتماً أفضل منطلق لهذه النظرية ، فالخطاب القرآني تجسيد لفضاءٍ روحي وفكري تأسَّست عليه منظومة القِيَم الأخلاقية العربية الاسلامية ، مِمَّا يُكسبه أهمية مضاعفة ، فهو كتاب العربية الأكبر الذي عجزت عن الإتيان بمثله عقول البشر فهو معجزة اللسان العربي ، لِمَا فيه من قوة البيان ، واتساق للألفاظ ، وايقاعية تُحدِّدُها دقة تشكيل الموسيقى بين حروفه ، مِمَّا جعل النفوس تهتز لسماعه، وتُدهش لقوة تأثيره، إذ تمتزج فيه الأبعاد التداولية بالبعد البلاغي لتتحقَّق عملية التواصل عِبْرَ الوظيفية التأثيرية والإقناعية [١] .

يُعدُّ الخطاب الإسلامي أحد العوامل المؤثرة على نفس وعقل الإنسان المسلم، ويُعدُّ صدراً أساسياً للإعلام ، وتكمن أهميته في كونه وسيلة التواصل مع البشر فهو أيضاً الوسيلة لتوجيه المسلمين وتغيير مجتمعهم ، ولأهمِّيَته ودوره وأثره الفاعل جعله الله حلقة الوصل بينه وبين المسلمين ولإقامة الحجة عليهم ، والمتلقي لا يحيط بكل معاني ومضامين المنشئ للخطاب إحاطة كاملة ، لأنَّ تحديد خصائص الخطاب دون الاستناد إلى مرجعية منهجية ، والتأثُّر بالرغبات الشخصية ، والخضوع إلى مسار فكريٍّ مُعَيَّنٍ مخلٍّ بالموضوعية يُؤدي إلى مغايرة قَصْدِ الخِطاب الإسلامي ، ولكنَّ المراد هو تحقيق الغاية في معرفة الخطاب الإسلامي، ويتجلَّى ذلك من خلال الموضوعية، وبعلمية متحررة من أيِّ فكرٍ إنَّ الخطاب الإسلامي قد أضفى عليه مصدره الإلهي ميزات عن المستويات البشرية في الشمولية والثبات المتَّصف بالمرونة ، والصلاحية لمختلف الأزمنة والأحوال ، فهو يهدف في كلِّ المجالات الإسلامية من فقه و توحيد و تفسير و حديث و قرآن إلى توعية المجتمع الإسلامي ويسعى لزيادة وعي المسلم وإعداده[٢].

---

(١) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد :٤٣/٤٤.

(٢) ينظر: سمات الخطاب الإسلامي، متعب القرني، الحوار المتمدن، ع٣١٨٦، ٢٠١٠.

ثانياً: **علاقة الخطاب القرآني بالاستلزام الحواري**:

إنَّ الخطاب القرآني ليس بمنأى عن هذا المنحى التداولي بوصفه خطاباً يضمُّ ملفوظات لغوية تحوي على مجموعة من المقاصد المباشرة التي تُفهم من الألفاظ والضمنية (غير المباشرة) والتي تُفهم من السياق، فغالباً ما تكون الدلالات المضمرة في الخطاب أفصح في الدلالة من الذِكْر، وهي في الوقت نفسه تصريح عن مقدرة المُوحي على أنْ يعني أكثر مِمَّا يقول بالفعل، أي أكثر مِمَّا يُعبِّرُ عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة؛ لذلك نجد أنَّ من أهم خصائص الخطاب القرآني الاختزال الذي يحوج المُؤوِّل إلى إطلاق مجموعة من الافتراضات للوصول إلى الغرض المقصود من دون لبس أو سوء فهم؛ إذ أنَّه ((ما من مضمون إلاَّ ويجوز أنْ يأتي من فوقه مضمون غيره، وأنْ يأتي من فوق هذا المضمون الثاني مضمون ثالث وهكذا من غير انقطاع)) [1].

لذلك شكَّل الاستلزام الحواري عنصراً مهماً من عناصر التداولية في عملية إنتاج المعنى في ضوء سياق التلقِّي الذي يؤدي عملاً محورياً في عملية تأويل الملفوظات، إذ يُبنى فعل التأويل على سلسلة من الاستدلالات التي يقوم بها المتلقِّي لتحقيق استراتيجيات تُحدِّدُ ما يعنيه المتكلم، وهذه الاستراتيجيات بمثابة المعيار الضابط لطاقة الاختزال أو التصريح في الكلام.

ومِمَّا تجدر الإشارة إليه هو تفضيلنا لمصطلح (الخطاب القرآني) على (النص القرآني) ؛ لذا وجب التمييز بين النص والخطاب ، فكلاهما عبارة عن حدث يقع في الزمان والمكان ، إلاَّ أنَّ الخطاب هو حدث اجتماعي وليس فردي ، ولا يُعاد إنتاجه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي، والسبب في ذلك أنَّ الوقائع الميتالغوية* متداخلة بالعلامات اللغوية ، وهي تضم خلجات الوجه والإيماءات ونبرة

*. الميتا تعني ما وراء الشيء ، والميتا لغوي تعني ما وراء المعنى .

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن :٢٣

الصوت ...وهي من أفعال التأثير الأكثر تعذُّراً على النقل لأنَّها أقل قصدية[١] ، في حين أنَّ النص فائض دلالي يحتاج إلى متلقٍّ واعٍ ليستقبله ويُدرك مضامينه ، وهناك من يرى أنْ لا وجود لقصْدٍ خارج إطار النص ، بمعنى أنَّ قصْدَ النص ليس سوى مفهوماً آخر للسياق ، ويمكننا أنْ نُحيلَ هذه الرؤية للنص إلى تعريفه عند العرب بأنَّه ما دلَّ عليه ظاهر لفظه من الأحكام ، أو أنَّه كلُّ ما يكون مستودعاً لمعنى واحد لا يحتمل التأويل ، وما يُؤكِّدُهُ هو الحكم الفقهي لا اجتهاد مع النص ، وِفْقَ هذا التصوُّر فإنَّ النصَّ شبكة من العلاقات التي تنتظم فيما بينها وميزته الرئيسية أنَّه ليس متتالية من الجمل لا رابط بينها ، بل بناءٌ قصديٌّ ووحدةٌ وظيفيةٌ من طبيعة تواصلية[٢] .

وهناك من يرى أنَّ الفرق بين النصّ والخِطاب قائم على شفرة الإرسال إذ عدَّ اللسانيون النص وحدة كتابية والخِطاب وحدة شفهية ، فجعلوا شكل التلقِّي هو المحدِّدُ الرئيسي بين النصّ والخِطاب فإذا ما كان تلقِّي مدونة ما بصرياً كانت نصاً، وإذا ما كان تلقيها سمعيَّاً كانت خطاباً، ورُبَّما يعود ذلك إلى أنَّ نُطق الأصوات سابق لكتابتها، لأنَّه فطري في حين أنَّ الكتابة مكتسبة[٣] .

ونرى أنَّ الخطاب مصطلح عام يشمل النصَّ ويُطلَق على الوحدة اللسانية بمستوياتها (التركيبية والمعجمية والصرفية والصوتية)، إذ إنَّه ((مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة))[٤] .

---

(١) ينظر: نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى) ، بول ريكور: ٤٦.

(٢) ينظر: سيميائيات النص مراتب المعنى ، سعيد بنكراد :٣٥_٣٧.

(٣) ينظر: مهارات الاتصال، راشد علي عيسى :٣٣.

(٤) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند :٦.

ويشير د. أحمد المتوكل إلى أنَّ الخطاب هو: ((كل تعبير لغوي أيَّاً كان حجمه يُنتَج في نظام معيَّن قَصْدَ القيام بغرض تواصلي معيَّنٍ))[١] ، وهو بذلك يجعل الخطاب وحدة تواصلية (مكتوبة أو منطوقة) يحدِّدُها مقام وغرض ، وبناءً على هذا التصوُّر فإنَّ النص عنده ((وحدة بنيوية من وحدات الخطاب تحتلُّ أعلى مرتبة في سلمية التعقيد ، باعتبارها مجموعة جمل)) [٢] ، مِمَّا يعني أنَّه عدَّ النص جزءاً من بِنية الخطاب ومثله بتتابع مترابط من الجمل التي تربطها علاقات تماسك.

وعلى الرغم من أنَّ الدراسات التداولية وُضِعَت لدراسة اللغة في وقت الاستعمال أو في التواصل؛ إلاَّ أنَّها تُشير بأنَّ المعنى ليس شيئاً مُتأصِّلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم أو السامع، فصناعة المعنى تتمثَّل في تداول اللغة بين المتكلِّم والسامع في سياق محدَّدٍ مادياً، واجتماعياً، ولغوياً، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما[٣]، بمعنى أنَّها تخصُّصٌ لساني يدرس كيفية استعمال الناس للدلالة اللغوية في مجمل أحاديثهم وخطاباتهم ؛ إلاَّ أنَّ المقصود بذلك الاستعمال هو الخطاب المؤثِّرُ القائم على مبدأ التواصل ، ويتأتَّى هذا المبدأ في الخطاب القرآني من التعارف ، وورد التعارف في القرآن الكريم في مواضعٍ كثيرةٍ ، تدور في مُجملِها ضمن آليات التواصل ، فليس التعارف في الخطاب القرآني لمجرد التعارف فحسب ؛ وإنَّما تعارف من أجل التواصل ، ومن هذا التواصل سيكون التفاعل ، ومن التفاعل سيكون التأثير[٤] .

---

(١) بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، د. أحمد المتوكل :١٧.

(٢) بنية الخطاب من الجملة إلى النص:٨١.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة: ١٤.

(٤) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي(تنظير وتطبيق على السور المكية) ، د. مثنى كاظم :٤٦.

وفي سيرورة السياق يتَّضح لنا أنَّ الجديد في اللغة هو الاستعمال المنهجي والعلمي للُّغة ، والتواصل اللغوي[١] ، وهذا التواصل يتعلَّق بالدراسات التداولية لكونِها ((دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسَل في كيفية قدرته على إفهام المرسَل إليه بدرجة تتجاوز ما قاله))[٢] ، وحتى يتمكَّنَ المتكلم من استعمال اللُّغة لإتمام التواصل يجب أنْ يمتلك مجموعة من المعارف أو القوالب _ بحسب تعبير فان دايك _ وهي القالب: النحوي ، والمنطقي ، والمعرفي ، والاجتماعي ، والادراكي ، وهذه القوالب تُؤلِّف الملكات الخمس التي تتكون منها (القدرة التواصلية)، وهذه الملكات تمثِّلُ قائمة مفتوحة، إذ يمكن أنْ نضيف لها ملكات أخرى[٣] .

إنَّ فهم الخطاب القرآني واستيعابه يحتاج إلى مداخل رئيسة، تُشكِّل هذه المداخل آليات تفسير النص القرآني، فكلُّ خطاب داخل النص القرآني يرجع إلى مجموعة عوامل أساسية، تُنظِّم تصوراته وأطروحاته التي تضبط قصدية النصِّ تجاه أمر ما[٤]، وفهم الخطاب القرآني وإدراكه يُحقِّقُ التواصل اللغوي ؛ مِمَّا يُؤدي إلى تحقِّقِ الرسالة التواصلية، فيتفاعل مع قصدية الذات المرسلة (المبلَّغة) ليُؤدي ذلك إلى الانسجام بينهما، فالخطاب القرآني هو خِطاب لغويٌّ لا يتِمُّ فيه التواصل إلاَّ بتوافر أطراف هذا التواصل كالمتكلم والمخاطب[٥] .

ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الخطاب القرآني _ بوصفه نموذجاً لفظياً متعالياً_ يأتي على رأس هذه الخطابات ؛ لِمَا يَحمِلُه من خصائص نوعية تَضْمَنُ له التميُّز ، فهو

---

(١) ينظر: المتخيل والتواصل : نور الدين آفاية : ١٦٧.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٦.

(٣) ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين: ١٨.

(٤) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت: ١١٧ .

(٥) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تطبيق على السور المكية):٥٥.

خطاب إلهي مُطلَقٌ (لا نهائيٌ) في ألفاظه ومعانيه ، إذ يُعدُّ من أكثر أنواع الخطاب إقناعاً وتأثيراً ، ويُسهِمُ المتلقي في إنتاج المعنى الإنجازي له ، ومِنْ هُنا يأتي اختلاف القراءات وتعدُّدِها ، تأسيساً على ما سبق يُمكِنُنا القول أنَّ الخطاب من أهم الوسائل التي تستطيع أنْ تتحكَّم بآليات التواصل بين المتكلم والمخاطب ، عِبْرَ الوسائط اللسانية التي تجليها حمولة البنية النوعية ، والدلالات المتشابكة التي تجعل من بنية الخطاب ذات وظيفة تأثيرية وإقناعية[١].

ويلجأ المتكلم في الخطاب عامَّة إلى التعبير عن قصده بما يُغايِرُ المعنى الحرفي لكلامه، فيُعبِّرُ عنه باستراتيجية أُخرى فحواها التلميح مستثمراً وسائله اللغوية، والمعرفة المشتركة بينه وبين المتلقي، وبحسب دوافعه الاجتماعية يختار المتكلم السياق والأسلوب، وفي هذا تتفاوت نسبة الأداء من متكلم لآخر[٢]، ورُبَّما تكون هذه الاستراتيجية أحدَ سِمات التواصل في الخطاب القرآني، إذ تبتعد دلالة الألفاظ عن المعنى الصريح الظاهر، وتلك أحدُ صور الإعجاز في القرآن ، إذ كان مُستثْمِراً لأساليب العربية ، ومن بينها الابتعاد عن الدلالة السطحية .

ومن تعريف الخطاب الذي ينصُّ على أنَّه : ((كلُّ منطوق موجه به إلى الغير؛ للتعبير عن قصْدِ المرسل، ولتحقيق هدفه))[٣] ، نخلِصُ إلى أنَّ الفعل المُنشَئُ للخطاب هو فعل التواصل ، والذي تتجلَّى فيه العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وهي تلك العلاقة ((التي تُؤطِّرُها محدَّدات اجتماعية وتفاعلية ، فالتعابير الخطابية مهما كانت الأوضاع المقامية التي تُنجَزُ فيها موجهة نحو الآخر، نحو

(١) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري:٩٢.

(٢) ينظر: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي:١٥٣.

(٣) استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري :٨٦.

مستمع معيَّن ، ولو كان من حيث وجوده الواقعي غائباً))[١] ، فوجود متكلم في العملية التواصلية يتطلب وجود مخاطب ، حتى وإنْ كان ذلك المخاطب ذاتاً مرسلة غير محاورة[٢] ، ومن الخصائص المميزة للتواصل أنَّه ليس فعلاً عشوائياً ، بل مخطط له ؛ لتحقيق أهداف معينة ، ومن ضمن تلك الأهداف هو إقامة العلاقات بين الناس ، وتتخطَّى أهدافه حدود هذه العلاقات إلى التبليغ والإقناع[٣] .

تأسيساً على ما سبق فنحن نرى أنَّ السِمات التواصلية للخطاب القرآني تجعله من المجالات المعرفية التي يمكن اسقاط الاستلزام الحواري عليها؛ لاكتشاف أطرها العامة في انسيابية المعنى المتواصل؛ إذ تهتمُّ التداولية عامَّة والاستلزام الحواري خاصَّة بأقطاب عملية التواصل من الباحث ومقاصده ، والرسالة وظروفها في السياقات التي أسهمت في تشكيلها، ومن مستمع يستثمر هذه الظروف السياقية؛ لتكوين معنى لقصد الباث وفهمًا للرسالة.

وبالنظر إلى كلِّ ما سبق يتَّضح لنا أنَّ الخطاب يمثِّل المحور اللساني للتواصل، ويُعدُّ التواصل نقطة ارتكاز الخطاب، إذ يتناول الخطاب جميع أطراف العملية التواصلية بالشمول ، إذ تندرج فيه آليات التواصل اللساني بدءً بالمخاطب ومروراً بالقصد والسياق وانتهاءً بالمتلقِّي والعملية التأويلية، وبناءً عليه فإنَّ للخطاب القرآني خصائص تواصلية تجعله من أهم مصادر الخطاب العربي التي يجب أنْ تُعنى بالمقاربة التداولية، وهذا ما أكَّده أغلب الباحثين، إذ إنَّ الخطاب القرآني خطاب حي وتأويله لا يتجدَّدُ وإنَّما يُعيدُ فهم الفهم لينتج نصوصاً مركزية، إذ ما ينتج المعنى ليس النصُ نفسُه بل القراءات المتجددة له[٤].

---

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، أدواري العياشي:٢٤.

(٢) ينظر:الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل :٣٣.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية) :١٠.

(٤) ينظر: اللغة والتأويل، عمارة ناصر:٩٥.

الفصل الأَوَّل

الاستلزام الحواري بين علماء الغرب والعرب

المبحث الأول : الاستلزام الحواري عند علماء العرب

المبحث الثاني : الاستلزام الحواري عند علماء الغرب

المبحث الأول

الاستلزام الحواري عند علماء العرب لغةً و اصطلاحاً.

الاستلزام لغةً:

(لَزِمَ): ((اللَّامُ وَالزَّاي وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى مُصَاحَبَةِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ دَائِمًا. يُقَالُ: لَزِمَهُ الشَّيْءُ يَلْزَمُهُ. وَاللِّزَامُ: الْعَذَابُ الْمُلَازِمُ لِلْكُفَّارِ)) [١].

وقد ورد في المدونة المعجمية أنَّ (لزِمَ) تدلُّ على طول المكث والإلزام بالتسخير أو بالحكم والأمر ، وورد في اللغة ((لزوم الشيء طولُ مكثِه، ومِنْه يُقالُ لزمه يلزمه لزوماً، والإلزام ضربان، إلزام بالتسخير من الله تعالى أو من الإنسان، وإلزام بالحكم والأمر))[٢]، والفِعل ((لَزِمَ يَلْزَمُ، والفاعل لازمٌ، والمفعول به ملزومٌ، ورجل لُزَمَةٌ يَلْزَم الشيء فلا يفارِقه، وألْزَمَه الشيء فالْتَزَمَهُ والالْتِزَامُ أيضاً الاعتناق. ولَزِمَ لُزُوماً: ثبُت ودام: نشأ عنه وحصل منه)) [٣].

وقيل: ((اللُّزوم مَعْرُوف، والفِعل لَزِم يَلْزمُ، وَالْفَاعِل لَازمٌ، والمفعولُ بِهِ مَلْزُومٌ. والمِلزَمُ: خُشَيْبَتَان قد شدَّ أوساطهما بحديدةٍ تكون مَعَ الصَّياقلة والأبَّارِين تُجعل فِي طرفه قُنَّاحة، فَيلْزم مَا فيهمَا لُزُوماً شَدِيداً))[٤]، وقيل أيضاً، ((لزمتُ الشيء ألزمُهُ لُزوماً، ولَزِمْتُ به ولازَمْتُهُ، واللِّزامُ: المُلازِم))[٥].

الاستلزام اصطلاحاً:

يُعدُّ الاستلزام الحواري من الظواهر التي تنبَّه إليها العلماء العرب ، وقُدِّمت اقتراحاتٌ لوصفه في النحو ، والبلاغة ، والأصول ، غير أنَّ جُلَّ هذه الأوصاف لم

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (لزم):٥/٢٤٥.

(٢) مفردات ألفاظ القران، الراغب الأصفهاني، مادة(لزم): ٧٤٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (لزم): ١٢/٥٤١.

(٤) تهذيب اللغة، الأزهري، مادة لزم: ١٣/١٥٠.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، مادة (لزم):٥/٢٠٢٩.

تتعدَّ مستوى الملاحظة لهذه الظاهرة ، مع وضْعِ مصطلحات تختلف باختلاف العلوم الفنية ، والأغراض التي تخرج إليها[١]، يُمَيِّزُ اللغويون العرب والبلاغيون منهم بصفة خاصَّة في استعمال العبارات اللغوية بينما يُسمُّونه بالاستعمال على وجه الحقيقة والاستعمال على غير وجه الحقيقة، أي اعتبار بعض الأبنية أصولاً تستخرج منها أبنية فروع[٢] .

نستخلص أن فكرة الاستلزام قد برزت من وعي العرب بأنَّ ((لكلِّ مقام مقال))[٣]، وإغفال المقام يفضي إلى ضياع المعنى أو المعنى الإنجازي في القول، يقول أبو هلال العسكري:((البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن))[٤]، وبلوغ المعنى يعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

- **الاستلزام عند البلاغيين**:

فقد ورد (الاستلزام) بمعنى قريب من المعنى الحديث، وذلك ما يُعرَفُ بـ(المعنى الضمني، أو المعنى غير الحرفي، أو معنى المعنى)[٥].

إنَّ تحقُّقَ مفهوم الاستلزام عند البلاغيين العرب كان قد انطلق من أبوابٍ عِدَّةٍ آنذاك؛ إذ كان عند (عبد القاهر الجرجاني)(ت٤٧١هـ) هو(معنى المعنى)، قال : ((تعنِي بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، أمَّا معنى المعنى فهو أنْ تَعقِلَ من اللفظ معنى، ثُمَّ يُفضِي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر))[٦]، وقد بيَّنَ عبد القاهر الكيفية

---

(١) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل:٩٦.

(٢) ينظر: الشرط والإنشاء النحوي للكون، محمد صلاح الدين:٣٦/١.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني :٨٦/١.

(٤) الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١٠.

(٥) الألفاظ الكلامية والاستلزام الحواري بين القدماء والمحدثين، د. نادية رمضان النجار: ٢٢.

(٦) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ٢٠٣ .

التي يتم بها الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني في قولنا : (كثير رماد القدر) بقوله : ((ألا ترى أنَّك لمَّا نظرتَ إلى قولهم : هو كثير رماد القدر ، وعرفتَ منه أنَّهم أرادوا أنَّه كثيرُ القِرَى والضيافة لم تُعرَفْ من اللفظ ، ولكنَّك عرفته بأنْ رجعتَ إلى نفسك فقلتَ إنَّه كلام قد جاء عنهم في المدح ، ولامعنى للمدح بكثرة الرماد فليس إلاَّ أنَّهم أرادوا أنْ يدلوا بكثرةِ الرماد على أنَّه تُنصب له القدور الكثيرة ، ويُطبخ فيها للقِرَى والضيافة ؛ وذلك لأنَّه إذا كَثُر الطبخ في القدور كثُر إحراق الحطب وإذا كثُر إحراق الحطب كثُر الرماد لامحالة))[١]، وفضلًا عن هذا فقد عقد الجرجاني باباً موسوماً بـ :((في اللفظ يُطلَقُ والمراد به غير ظاهره))[٢] ؛ إذ دار فيه الأمر أيضاً على الأعمِّ على المجاز والكناية.

أمّا السّكاكي(٦٢٦هـ) فكانت انطلاقته من مقولة البلاغيين (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) وعدمه ، شارعاً في التطبيق من قِسمَي الكلام(الخبر والإنشاء) ؛ إذ إنَّ معنى الجُمل عنده إذا رُوعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تَدلُّ عليه صيغتها الصورية من استفهام وأمر ونهي ونداء إلى غير ذلك فالخبر إذا جرى إلى غير أصله، أي: على خلاف مقتضى الحال قد يخرج إلى أغراض مختلفة (كالتلويح والتجهيل وغيرهما)، والاستفهام كذلك يخرج إلى (الإنكار والتوبيخ والزجر)، يؤيده قوله:((وإذا عرفتَ أنَّ إيرادَ المعنى الواحد على صُوَرٍ مختلفة لا يتأتَّى إلاَّ في الدلالات العقلية، وهي: الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما، بغية لزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، هذا يعني أنَّ عِلْمَ البيان اعتبار الملازمات بين المعاني))[٣] ، نحو قولك لمن تراه يؤذي الأب : (أتفعلُ هذا) ؛ إذ ((امتنع توجه

---

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ٣١٦ .

(٢) المصدر نفسه: ٦٦.

(٣) مفتاح العلوم : السكاكي، ٣٣٠ .

الاستفهام على فعل الأذى لعلمك بحاله وتوجهه على ما لا تعلم مما يلابسه من نحو (استحسن) وولَّد الإنكار والزجر))[١]، ومن هنا ذهب أحمد المتوكل إلى أنَّ السكَّاكي هنا يرى أنَّ تأويل المعنى وخروجه على معانٍ مختلفة معتمد أساساً على خرقٍ لأحدِ شروط إجراء المعاني الخبرية والطلبية على أصْلِها ومجيئها على خلاف مقتضى الظاهر[٢] ، وبِمَا أنَّ مبدأ الخرق هو أساس الاستلزام عُدَّ نقطة الالتقاء بين تحليل السكَّاكي وتحليل (غرايس) .

ومن البلاغيين من انطلق من هذا المنطلق نفسه، ولكن من باب (الحقيقة والمجاز)، على اعتبار أنَّ المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وُضِع له في أصل اللغة ، بمعنى : الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، على أنَّ المجاز هنا لا يُراد به المجاز المفرد ، بل المجاز المركب ، أي : مجاز المغزى[٣] .

إنَّ مصطلح الاستلزام الحواري عند البلاغيين قُسِّمَ على قسمين ظاهر وصريح، ويُعدُّ عبدالقادر الجرجاني والسكَّاكي، أول من تطرَّق لهذا من حديثهم عن المعنى، فالسكَّاكي يقول: هنالك معانٍ فرعية مقابل المعاني الأصلية، والذي يُؤمِّنُ الانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى الفرعي هو شروط أداء العبارات الطلبية في مقامات غير مطابقة هي ظاهرة الاستلزام الحواري[٤]، ثُمَّ أشار السكَّاكي إلى أنَّ هناك شروطًا يجب اتخاذها، فمتى وُجِدَ الخرق في تلك الشروط ظهرت دلالات جديدة، فترى هناك معنى أصلي ومعنى فرعي وهو ما يقابل الاستلزام الحواري، وهذا

---

(١) مفتاح العلوم : السكاكي، ١٤٧.

(٢) ينظر: الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة (بحث): أحمد المتوكل ، التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم د. حافظ اسماعيل علوي : ٢٩٣ . ٣٠٠ .

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي: د. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة : ٤٤٣ . ٤٤٥ .

(٤) ينظر : الاستلزام الحواري في التداول اللساني، إدواري العياشي:٢٣.

ما نجده في بحوث (غرايس) ، بينما نجد أنَّ الجرجاني تحدَّث عن المعنى الذي يُعدُّ من المفهوم الظاهر وحقيقة المعنى هو معرفتُك للمعنى الظاهر فينتقل بك إلى معنى آخر[١].

- **الاستلزام عند اللغويين**:

وأمّا اللغويون فانطلقوا أيضًا من باب الأصل والخروج عنه مراعين السياق، وذلك في باب الاستفهام والأمر وغيرهما... فعقد ابن جني باباً في هذا، قائلاً :((باب في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها: من ذلك الاستفهام إذا ضامَّه معنى التعجب استحال خبرًا ، وذلك قولك: مررتُ برجلٍ أيَّ رجل، فأنت الآن مُخبِرٌ بتناهي الرجل في الفضل ولستَ مستفهماً))[٢] .

مِمَّا سبق يتبيَّنُ لنا أنَّ لنظرية (غرايس) جذوراً في التراث العربي القديم سواء أكان ذلك في كتب المناطقة والأصوليين والفقهاء، أم في كتب البلاغيين والنحاة واللغويين ، ولكن ما تجدر الإشارة إليه أنَّ تلك الجذور كانت مجرد أفكار متناثرة لم تكن محل عناية كالدراسة الموضوعية الآن في الساحة اللسانية .

إنَّ من اختار مصطلح (الاستلزام) من المترجمين استدلَّ على ذلك بقرب مفهوم هذا المصطلح من مفهوم المصطلحات الموجودة في التراث الفكري العربي كمفهوم الانتقال واللازم والملزوم والاستدلال عند المناطقة والبلاغيين، ولاسِيَّما الكناية وانتقالاتها اللزومية مثل قولهم: (كثير رماد القدر)، وكذلك الأصوليون في استعمالهم مصطلح التلميح والتلويح .

---

(١) ينظر : دلائل الاعجاز: ٢٨.

(٢) الخصائص، ابن جني: ٣ / ٢٧٢ .

- **الاستلزام عند النحويين**:

وقد عرَّف النحويون العرب القدماء مفهوم الاستلزام مبينين علاقته بمفهوم العامل النحوي وعرَّفُوه تحت مُسمَّى الاقتضاء [١]؛ إذ أنَّ الاستلزام هو قوة العلاقة المعنوية التي تقوم بين المبني عليه والمبني يقول العكبري: ((والاقتِضَاءُ على حَسَبِ المُقْتَضِي))[٢] ، من هنا يُفهَمُ أنَّ المُقتَضِي رُبَّما يكون اسماً كالمبتدأ ويقتضي خبراً، أو فعلاً ويقتضي فاعلاً، أو حرفاً ويكون مقتضاه حسب التركيب، وهذا ما أشار إليه ابن يعيش بقوله :((ألا ترى أنَّ الضرب والقتل يقتضيان مضروبًا ومقتولاً... وكلُّ واحد من أفعال الحواس يقتضي مفعولًا مِمَّا تقتضيه تلك الحاسَّةُ، فالبصر يقتضي مُبْصَرًا، والشمُّ يقتضي مشمومًا، والسمعُ يقتضي مسموعًا، فكلُّ واحد من أفعال هذه الحواس يتعدَّى إلى مفعول مِمَّا تقتضيه تلك الحاسّةُ))[٣]. ويتَّضح أثره جلياً في موارد الحذف والتقدير يقول أبو سعيد الدمشقي في صدد حديثه عن قَوله تعالى:﴿**فَمن كَانَ مِنْكُم مَرِيضا أَو على سفر فَعدَّة من أَيَّام أخر**﴾ ، قال: ((أَي فَأفْطر فَعدَّة من أَيَّام آخر وَكَذَلِكَ ﴿**فأوحينا إِلَى مُوسَى أَن اضْرِب بعصاك الْبَحْر فانفلق**﴾، تَقْدِيره فَضرب فانفلق، وَيُسمَّى هَذَا عِنْد الْأُصُولِيِّينَ دلَالَة الِاقْتِضَاء أَي إِنَّ صِحَة الْكَلَام اقْتَضَت هَذَا الْمُقدَّر، وَمِنْه مَا يتَوَقَّف عَلَيْهِ تَمام البلاغة لتجري على الْقَوَاعِد الْعَرَبيَّة كَمَا قَالَ صَاحب الْكَشَّاف فِي قَوْله تَعَالَى ﴿**لَئِن لم تَنْتَهِ لأرجمنك واهجرني مَلِيًّا**﴾،

(١) ينظر : وقد خصص الدكتور فخر الدين قباوة كتابا يعالج هذه القضية تحت عنوان : مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، ولا سيما الفصل الثالث منه : ١١٤-١٩١.

(٢) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، العكبري : ٣٣٥.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش: ٤/٢٩٥- ٢٩٦.

إِن الْعَطف على مَحْذُوف يدلُّ عَلَيْهِ قَوْله (لأرجُمنَّك) ، تَقْدِيره فاحذرني واهجرني مَلِيًّا؛ لِأَن قَوْله (لأرجُمنَّك) تهديد وتقريع))[١] .

وقد ذهب ابن الحاجب إلى أنَّ الاستلزام أو الاقتضاء قسمان إذ يقول:((الاقتضاء على ضربين: اقتضاء وجودي واقتضاء عقلي))[٢].

- **الاستلزام عند الأصوليين**:

أمّا الأصوليون فمنهم من انطلق لبيان محل تحقُّق هذا المفهوم عندهم من (اللزوم) قال الرازي(ت ٦٠٦هـ) : ((إنَّ اللَّفظ إذا وُضِعَ للمُسمَّى انتقل الذهن من المُسمَّى إلى لازمه)) [٣] ، ومنهم من انطلق من (المنطوق والمفهوم) ، فحدَّ الآمدي (ت٦٣١هـ) المفهوم قائلاً: ((ما فُهِمَ من اللَّفظ في غير محل النطق والمنطوق))[٤]، (أراد: في الذهن) ، وقسَّمُوا المنطوق على قسمين ؛ أحدهما: صريح ، وهو عندهم: ما دلَّ عليه اللَّفظ في محل النطق ، والآخر: غير صريح : وهو ما يلزم عن اللَّفظ[٥]، وهذا التقسيم مقارب لتقسيم (غرايس) للاستلزام على قسمين: (وضعي) و(غير وضعي)، كقول أحدهم :

أ – هل ترغب بالذهاب معي إلى السينما ؟

ب – لديَّ غداً واجباتٌ كثيرةٌ .

فلازم هذا المنطوق: إنَّه لا يرغب بالذهاب ؛ إذ أنَّ الوقت الذي لديه لا يتَّسِعُ لأداء واجباته والذهاب للسينما معاً ، وهو عند (غرايس) خرق مبدأ المناسبة .

---

(١) الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، صلاح الدين الدمشقي : ١٤٩-١٥٠.

(٢) أمالي ابن الحاجب ، ابن الحاجب : ٨٤٢/٢.

(٣) المحصول في علم أصول الفقه ، فخر الدين الرازي١/ ٣٠٠ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٣ / ٧٤ .

(٥) ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي ٣ / ٨٩ .

ومنهم من انطلق من (الاقتضاء) معرّفاً إيّاه بأنَّه دلالة اللَّفظ على معنى لازم مقصود للمتكلم وجب تقديره لتوقف صدق الكلام أو صحته العقلية أو الشرعية عليه[١].

ومنهم من رأى أنَّه من (التلويح) كقول الزركشي: ((أعلم أنَّ الألفاظ ظروف حاملة للمعاني، والمعاني المستفادة منها تارة تستفاد من جهة النطق والتصريح وتارة من جهة التعريض والتلويح))[٢] .

إنَّ الأصوليين وقفوا على دلالة النصوص وحلَّلوها ثُمَّ قسَّمُوها على قسمين:

١ – المعنى الحرفي، وعند الأصوليين دلالة المنطوق.

٢ – دلالة النص، وكلُّ الدلالات تُفهم من النص دون أيِّ دلالات حرفية[٣].

أمَّا ما ذكره (غرايس) عن الدلالة الوضعية ، يقصد به المعنى الحرفي للجملة من مفرداتها وتركيبها. أمَّا دلالة المفهوم فهي المعاني الضمنية التي تتجاوز مفردات الجملة وتبقى مرهونة بالسياق. ودلالة التراكيب عند الأصوليين: إذا دلَّت الوحدة الكلامية بحرفيتها على المعنى المقصود فعند الأصوليين تُسمَّى (المنطوق الصريح) وهو ما وضع اللَّفظ له فيدلُّ عليه بالمطابق والتضمن، أمَّا ما تتضمنه الألفاظ المباشرة من أخرى فذلك المنطوق غير الصريح لديهم، وأمَّا تعريف المنطوق غير الصريح عند الأصوليين بأنَّه لم يوضع لمعناه بل يلزم مع وضع دلالة له فيدلُّ عليه بالالتزام، أي أنَّ الألفاظ غير المباشرة عند الأصوليين هي الألفاظ التي يُستدلُّ عليها

(١) ينظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم علي النملة ٤ /١٧٢٧.

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي ٣ / ٨٨ .

(٣) ينظر: السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة ، علي ايت اوشان: ٢٢٦ – ٢٢٧.

بمعنى مستلزم من السياق وليس من منطوق القول، وقد قُسِّمَ على ثلاثة أقسام: دلالة الاقتضاء ودلالة الإيحاء ودلالة الإشارة [١].

ومِمَّا ذكرناه سابقًا نستطيع القول بأنَّ الأصوليين من تأويلهم للنص القرآني عمدوا إلى تقسيم المعنى إلى: معنى حرفي، ومعنى تابع، أفضى إلى ثلاثة أنواع من الدلالات دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام.

من هنا يتَّضح لنا أنَّ القدماء كانوا على وعي بمفهوم الاقتضاء على مستوى الاصطلاح والإجراء بما يتقارب مع أهم الإسهامات التي أثَّرت في تطوير المنهج التداولي.

فضلًا عمَّا تقدّم فإنَّنا لو عقدنا موازنة بين الأصوليين وقواعد (غرايس) لنجد نقطتي افتراق والتقاء بين كلٍّ من الطرفين، أمَّا الافتراق فيكمن في أنَّ نظرية (غرايس) تقوم على العناية بفكرة التخاطب واستراتيجية التواصل بين المتحاورين ودراسة فلسفتها ، في حين أنَّ الأصوليين يكون جُلَّ عنايتهم نحو الخطاب الموجه من الشارع نحو المكلفين[٢] ، وأمَّا الالتقاء بينهما فيكمن في أنَّ الأصوليين قسَّموا اللَّفظ المنطوق على قسمين: (دلالة منطوق صريح ، ودلالة منطوق غير صريح)، والمناطقة قسَّموا الدلالة الوضعية أيضاً على قسمين: (لفظية وغير اللفظية)، وقسَّموا اللَّفظية على ثلاثة أنواع منها (اللزومية) ، التي عبَّر عنها الأصوليون بـ (المنطوق غير الصريح) ، في حين قسَّم (غرايس) المعنى المستلزم من الكلام على(عرفي وغير عرفي) .

---

(١) ينظر: دلالة التركيب لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد علي الفاتح:٢٧ – ٧٣، ٧٤.

(٢) ينظر: دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند (غرايس) (بحث) : وليد حسين : ٢٣.

- **الاستلزام الحواري عند المحدثين العرب**:

تعدَّدَت الدراسات واختلفت وجهات النظر بين الباحثين المحدثين منهم على سبيل الحصر طه عبدالرحمن الذي انطلق من نظريته التراثية، وهي المعرفة العربية، ((اجتهدنا قدر المستطاع في الأخذ بأسباب اللغة العربية في التعبير والتبليغ، ووظَّفْناها في التنظير))[١]. أمَّا الاستلزام الحواري، فقد اقترح مبدأً مكملاً للمبدأ التعاوني سمَّاه: مبدأ التحقيق واعتبار الصدق والإخلاص، وصاغه على النحو الآتي:

– لا تقل لغيرك قولاً لا يصدِّقُه فِعلُك.

وإنَّ مبدأ التعاون يُبنى على أساسين أحدهما: نقل القول ويتعلق بالجانب التبليغي من المخاطبة.

والثاني تطبيق القول، الذي يتعلق بالجانب التهذيبي. وتتفرع على مبدأ التحقيق في جانبه التبليغي قواعد مضبوطة، نجدها عند الماوردي وهي:

– ينبغي أنْ يكون الكلام لداعٍ يدعوا إليه أمَّا في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

– ينبغي أنْ يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

– ينبغي أنْ يتخيَّر اللَّفظ الذي به يتكلم.

– ينبغي أنْ يأتي به المتكلم في موضعه ويتوخى به إصابة فرصة، كما تتفرع على مبدأ التحقيق في جانبه التهذيبي قواعد تتعلق بالقصر والصدق والإخلاص[٢].

وعند تحليل هذه الجمل على وفق القاعدة، فالأولى تقوم مقام مبدأ التعاون إذ لابُدَّ من تحديد الهدف، والقاعدة الثانية تقوم مقام العلاقة، إذ لابُدَّ أنْ يكون لكلَّ مقام مقال أي قولٌ يناسبه في هذا المقال، والقاعدة الثالثة أنْ تقوم مقام قاعدة الكم لابُدَّ

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن:٢٩.

(٢) ينظر : الاستلزام الحواري في التداول اللساني العياشي ادواري: ١٢٢–١٢٣.

من الالتقاء بالضرورة من الخبر، والقاعدة الرابعة تقوم مقام الصيغة والجهة، كن واضحًا، مع مراعاة صحة المعاني والألفاظ[١].

أمَّا أحمد المتوكل، أثار ظاهرة الاستلزام الحواري في التراث العربي من الاقتراحات التي توصَّل إليها السكَّاكي فيقول:((لأنَّه ينماز عمَّا توصَّل إليه الآخرون فيها، عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة، بأنَّها تجاوز ملاحظة الصرف وتحمل بالمعنى المستلزم مقامياً، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة))[٢]. وتمثَّلت جهوده لوصف ظاهرة الاستلزام التي تدور في اقتراحات السكاكي وتتمثَّل بنقل معنى الجملة من المعنى الصريح إلى المعنى الظاهر، أو تنتقل الجملة الاستفهامية من الدلالة عن السؤال إلى الدلالة على التمني من خرق يؤدي إلى طلب غير المُمكن حصوله وهو ما ينبني عنه التمني[٣] .

وقد تطرَّق مسعود صحراوي لظاهرة الاستلزام الحواري ونسبها إلى غرايس ، فاهتمَّ بالمعنى والقصد التي تحمل في طياتها الطبيعية معانٍ تحمل في مدلولاتها معانٍ ضمنية[٤].

وقد عرَّفَه العياشي بأنَّه: آلية من آليات الخطاب، فهو يُقدِّمُ تفسيرًا لقدرة المتكلم على أنْ يعي أكثر مِمَّا يقول: أي أكثر مِمَّا تؤديه العبارات المستعملة، فاستعمال جملة (ناولني الكتاب من فضلك) على سبيل المثال – المنجزة في مقام محدود يخرج معناها من الطلب (الأمر) إلى معنى الالتماس وهو ما تفيده القرينة (من فضلك)[٥].

وذكرت بشرى البستاني بأنَّه: ((يولي قصدية المتكلم أو ما يُسمَّى بالدلالة غير الطبيعية اهتمامًا كبيرًا))[٦].

---

(١) ينظر: اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، طه عبدالرحمن : ٢٥٠.

(٢) نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة احمد المتوكل عبدالفتاح الحموز، ٥٨٤.

(٣) ينظر : نحو اللغة العربية الوظيفي: ٥٨٣ _ ٥٨٤.

(٤) ينظر : التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي:١٠٢.

(٥) ينظر : الاستلزام الحواري في التداول اللساني:٦٩.

(٦) التداولية، في البحث اللغوي والنقدي، د. بشرى البستاني:٨٦.

المبحث الثاني

النشأة والمفهوم عند علماء الغرب

للتداولية أبعادٌ ومفاهيمٌ كثيرةٌ ترتكز عليها في طرح منهجها وكشف مضامينها، والاستلزام الحواري أحدُ تلك المحاور التي يبتني عليها الدرس اللساني التداولي، وهو مصطلح وضعه الفيلسوف بول (غرايس) جاء به نتيجة الدراسة المعمَّقَة في البحث اللساني، ومحاولة منه لوضع نحوٍ قائمٍ على أُسُسٍ تداولية للخطاب تأخذ بعين الاهتمام كلَّ الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب(١).

وتكمُن قيمة هذه النظرية بوصفها تشكل استراتيجية مهمة يلجأ إليها المرسل في إنتاجه للخطاب، فلكي يُحقِّقَ الخطاب فعاليته يعتمد المخاطب عناصرَ تجعله يتوجه إلى التلميح، أي يقول ما يرغب فيه من دون أنْ يُصرِّحَ بذلك، وما على المتلقي إلاَّ إدراك مآل أقواله.

والاستلزام الحواري هو ترجمة عن المصطلح الإنكليزي، ولهذا المصطلح ترجمات أخرى مختلفة، لعلَّ أشهرها مصطلح (الاقتضاء التخاطبي، أو التلويح)، ومنهم من فضَّل مصطلح الاقتضاء التداولي(٢)، وهناك من الباحثين من اقترح مصطلح الاستلزام التخاطبي(٣).

وتُرجم أيضاً إلى التضمين(٤)، كما ترجم إلى التلويح الحواري(٥).

---

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي ادراوي : ١٧ .

(٢) ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني ، عادل فاخوري، بحث : ١٤١.

(٣) ينظر: الاستلزام التخاطبي، أحمد المتوكل: ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة : هامش ٢٩٣.

(٤) ينظر: التداولية: ٦٥. وينظر: عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشيرة : ٦٥.

(٥) ينظر: نظرية الفعل الكلامي، هشام عبد الله خليفة: ١٥٩.

إنَّ الاستلزام الحواري جانب مهم من جوانب الدرس الحديث، أي الدرس التداولي وبداية البحث في هذه النشأة ترجع إلى المحاضرات التي ألقاها(غرايس) التي دُعِيَ إليها في جامعة (هارفارد) عام ١٩٦٧ فقد أعطى تصورًا لهذا الجانب من الدرس، أمَّا الأُسُس المنهجية التي قامت عليها نظريته، كانت بداية الانطلاق عنده هي ملاحظته أنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مِمَّا يقولون، وقد يقصدون عمَّا يقولون(١).

فكان بحثه بين ما يُقالُ وما يُقصَد، وإنَّ ما يُقالُ هو الكلمات والعبارات بصيغتها اللَّفظية، وإنَّ ما يقصده أنْ يبلغه للسامع على نحو غير مباشر، فجعل على همه الإيضاح، وإنَّ السامع قادر على أنْ يَصِلَ مراد المتكلم من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فذهب إلى مبدأ ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى تضمن نشأة عنده فكرة الاستلزام(٢).

وتصب هذه النظرية في إطار ما يُسمَّى بـ (نظرية الاستلزام المعاصر) التي لا يتعدَّى ميلادها إلى خمسة عقود، ويعتبر(غرايس) أول مكتشف لهذه النظرية حيث قام ببلورتها وتنميتها، وهي حديثة المعالجة حيث ألقاها في جامعة هارفارد بعنوان(النطق التخاطبي) ومحاضرته الثانية التي ألقاها سنة ١٩٦٧ بعنوان (الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي) (٣).

أمَّا سببُ نشأة فكرة الاستلزام عند (غرايس) فقد جاء نتيجة الملاحظة لحوار الناس مع بعضهم، ففي حوارهم قد يقصدون ما يقولون، وقد يقصدون أكثر مِمَّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، من هنا جاء التركيز على هذا الجانب للتفريق بين (ما يُقال) وما (يُقصد)، فما يُقالُ هو ما دلَّ على معناه بظاهر لفظه،

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤.

(٢) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان، قليب بلانشيه: ٨٤.

(٣) ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح اسماعيل ١٣.

أمَّا ما يُقصَدُ فهو الذي يحتاج إلى إعمال الفكر؛ لأنَّ معناه مُستفادٌ من المعنى الأول، فكأنَّ المتكلم أراد أنْ يبلِّغَ السامعَ على نحوٍ غير مباشر، معتمداً في ذلك على مهارات المتلقي وقدراته على التأويل(١).

وعرفته أورك يوني بأنَّه : ((المعلومات وإنْ لم يُفصح عنها، وبطريقة آلية واردة ومدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً، بغض النظر عن خصوصيته في إطار الحديث الذي يتجلَّى فيه))(٢).

كما عُرِّف بأنَّه ((عمل المعنى، أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنَّه شيء يعنيه المتكلم ويُوحي به ويقترحه ولا يكون جزءاً مِمَّا تعنيه الجملة بصورة حرفية))(٣).

والاستلزام الحواري يتغير بتغير السياقات، حيث يريد المتكلم أنْ يقول شيئاً ويعني شيئاً آخر، وأنْ يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر(٤).

وقد شكَّل الاستلزام الحواري من حيث المعنى دورًا كبيرًا لدى الدارسين، قديمًا وحديثًا، وإنَّ ما قاله (غرايس) في مقالته (المنطق والتخاطب) الذي بحث في مجموعة من المعاني المختلفة في كلامنا، حيث قال: إنَّنا في بعض الأحيان نعني ما نقول وفي بعض الأحيان لا نعني ما نقول بل نُضْمِرُ معنى آخر في كلامنا، فالأول نُسمِّيهِ المعنى الطبيعي، والآخر نُسمِّيهِ المعنى غير الطبيعي، ومن هنا خرجت فكرة الاستلزام الحواري (٥). أمَّا عند الغرب فيُعدُّ من أهم منطلقات المنهج التداولي، إذ يتناول العملية التواصلية انطلاقاً من مبدأ (التعاون الحواري) إذ أكَّد

---

(١) ينظر: الاتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي، د . نادية رمضان النجار، ٨٠.

(٢) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران، ٦٨.

(٣) نظرية المعنى في فلسفة بول (غرايس)، ٧٨.

(٤) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ان روبول وجاك موشلار، ٥٥.

(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٣٢.

(غرايس) أنَّ الاستلزام بهذا المبدأ يؤدي إلى فشل الفعل اللغوي، ويُعدُّ (غرايس) من أوائل الفلاسفة الذين سعوا إلى وضع نحوٍ للخطاب التداولي ، فتنبَّه إلى مفهوم الاستلزام الحواري في أثناء بحثه هذا ، فهو يُؤكِّد صعوبة التأويل الدلالي للعبارات إذا تمَّ النظر إلى المعنى الظاهري فقط[١] ، وفي الوقت الذي سعى (جون أوستن) و(سيرل) إلى تطوير الأفعال الكلامية كتب (غرايس) مقالاً في المعنى ونشره في عام (١٩٥٩م) ، وكانت له حينئذٍ أهمية تاريخية كبيرة ؛ إذ كانت فلسفته تدور حول فكرة (المعنى في الاستعمال)[٢]، واعتنى كثيراً بهذه الفكرة ، الأمر الذي جعله يقسِّمُ المعنى حينئذٍ على قسمين :

أحدهما: المعنى الطبيعي. والآخر: المعنى غير الطبيعي [٣].

فـ((المعنى الطبيعي عنده: هو المعنى الذي تملِكُه الأشياء في الطبيعية، فالدخان يدلُّ على النار... أمَّا المعنى غير الطبيعي فتملِكُه كلماتنا وعباراتنا وبعض أفعالنا وإيماءاتنا أيضًا))[٤] ، وقد أجرى (غرايس) موازنة بينهما ممثلاً للأول بـ (دلالة الدخان على النار) ، و(دلالة البثور المنتشرة على جلد زيد على أنَّه يعاني من مرض جدري الماء) ، ومثَّل للثاني بـ :(أنْ يقول زيد لعمرو : إنَّ غرفتك زريبة خنازير)، فإنَّهُ يقصد أنَّ غرفة عمرو وسخة وغير مرتبة [٥]، فدلالة الدخان على النار مرتبطة

---

(١) ينظر: الاتّجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: نادية محمود النجار:٧٥.

(٢) نظرية المعنى في فلسفة بول (غرايس) : ٤٠ .

(٣) ينظر : الخطاب اللساني العربي (هندسة التواصل الإضماري من التجريد الى التوليد) : د. بنعيسى عسو أزاييط : ١٢٩

(٤) نظرية المعنى في فلسفة بول (غرايس) : ٤٠ .

(٥) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٢٦، ونظرية المعنى في فلسفة بول (غرايس) : ٤٠ ـ ٤١ .

بظواهر طبيعية لا تحتاج إلى تأويل، ولا يُراد منها تَحقُّق تواصل، وفي المقابل نستعمل الجملة الثانية للإبلاغ إلاَّ أنَّها تحتاج إلى تأويل[١].

واقترح (غرايس) تعريفاً للدلالة غير الطبيعية: ((أنْ نقول إنَّ القائل قصد شيئاً ما من جملة معينة ، ذلك يعني إنَّ هذا القائل كان ينوي وهو يتلفَّظُ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيّته))[٢] ، ومِنْهُ يُعلم أنَّ النقطة الجوهرية عند (غرايس) في التواصل اللغوي هي نوايا القائل وفهم المخاطب لهذه النوايا، أو بالأحرى فهم المخاطب المعنى المستلزم، ومن أمثلة ذلك قول أحدهم للآخر: إنّك تمشي مع سلحفاة، والمقصود : إنَّك بطئ جداً ، أَسرِع [٣] .

ومنه يُعلمُ أنَّ (غرايس) لا يُؤسِّسُ الفهم حصرًا على الدلالة التواضعية للجمل وعلى الكلمات التي تتكون منها الجمل[٤]، بل معتمداً على ما يُسمِّيهِ المناطقة بـ (الاستدلال) ، يُؤيِّدُ ذلك قول ستيفن ك لينفسون: ((وفي الواقع سبب اهتمام علم اللغة بالمبادئ هو إنَّها تولِّد استدلالات تتجاوز المضمون للدلالي للجمل المعبر عنها هذه الاستدلالات تحديداً هي أوجه استدلال حواري)) [٥] .

وقد عرَّفه إدواري العياشي بأنَّه: ((آلية من آليات الخطاب، فهو يُقدِّمُ تفسيرًا لقدرة المتكلم على أنْ يَعِيَ أكثر مِمَّا يقول)) [٦] أي أكثر مِمَّا تؤديه العبارات المستعملة، فاستعمال جملة (ناولني الكتاب من فضلك) على سبيل المثال – المنجزة

---

(١) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٥٣.

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٥١.

(٣) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية : ٢٦ .

(٤) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٥٣ .

(٥) البراجماتية اللغوية : ستيفن ليفنسون: ١٥١ .

(٦) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، إدواري العياشي: ٦٩.

في مقام محدود_ يخرج معناها من الطلب (الأمر) إلى معنى الالتماس وهو ما تفيده القرينة (من فضلك).

وعلى ضوء ما سبق فقد انقسم الاستلزام على نوعين : استلزام عرفي والآخر حواري ، أمَّا العرفي فهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها وتبقى مستلزمة بها مهما تغيرت السياقات والتراكيب ، وأمَّا الاستلزام الحواري فهو متغير بتغير السياقات التي يوضع بها[١].

فيُراد من الاستلزام الحواري تحقيق وظيفة مفادُها معرفة الاختلاف بين ما يُقصد وما يُقال، فما يُقالُ هو ما تعنيه الكلمات وما يُقصد هو ما يريد المتكلم أنْ يُبلِغَه للسامع في العملية التواصلية بشكل غير مباشر، اعتماداً على أنَّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ، ووسائل الاستدلال[٢]، وهذا ما دفع أحد الباحثين إلى قوله أنَّ الاستلزام الحواري ((يولي قصدية المتكلم أو ما يُسمَّى بالدلالة غير الطبيعية اهتمامًا كبيرًا))[٣]، ومن يُمعِنُ النظر في تعريفات الاستلزام الحواري يجد أنَّها اتفقت أجمعُها على دراسة ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر ، مِمَّا يجعل المخاطب يتجاوز المعنى الظاهر ويبحث عن معنًى خفيٍّ يقصدُه المتكلم[٤].

وعلى هذا الأساس قام (غرايس) بوضع قواعد هذه النظرية التي تقول: ((إنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ويقصدون أكثر مِمَّا يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون))[٥]، ويُعدُّ مبدأ التعاون جوهر الاستلزام الحواري الذي انطلق منه

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٢٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد جحفة :٣١.

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مجموعة باحثين:٨٦.

(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي: ٥.

(٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٣٣.

(غرايس) ؛ لدراسة العملية التواصلية، ويتوجه هذا المبدأ إلى المتكلم على الشكل الآتي: ((لتكن مشاركتك في التخاطب عند حصولها على النحو الذي يتطلبه الغرض أو الاتجاه المرسوم للتخاطب)) [١]، وقد أراد (غرايس) أنْ يصنع من هذه المبادئ ما يشبه القواعد التي تضبط كلَّ سلوك لغوي، فتضمن لكلِّ مخاطبة إفادة تبليغ الغاية في وضوح تام، فتكون المعاني التي يستعملها المخاطب والمتكلم معانٍ صريحة وحقيقية، إلاَّ أنَّ طرفي الخطاب قد يخالفان بعض تلك القواعد مع الحفاظ على مبدأ التعاون، وإذا وقعت هذه المخالفة انتقلت العبارة من ظاهرها الصريح إلى ما يُسمَّى بالدلالة المستلزمة [٢].

وفي سيرورة السياق لابُدَّ لنا من الإشارة إلى أنَّ المتكلم يُضمر في كلامه أكثرُ مِمَّا يظهره في سياق العبارة المستعملة[٣]، لذا يحتاج المتلقي إلى التأويل للكشف عن آليات الاستلزام الحواري في النص ، فالمناهج التأويلية ((تتيح لصاحبها استنطاق البنية اللغوية، وإثرائها بالمعاني والدلالات استناداً إلى جملة من الشروط أولها السياق))[٤].

إنَّ مُجمَل الأمثلة التي قدَّمها (غرايس) عن الاستلزام الحواري يمكن تصنيفها في خانتين أساسيتين وهما :

١ – مجموعة تحترم القواعد التخاطبية، فلا نجد فيها خروجاً عن مبدأ التعاون وقواعده الفرعية .

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٩٦.

(٢) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن :٢٣٩.

(٣) ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني :١٥٩.

(٤) التأويل وتعدد المعنى، :١٢٩.

٢ – مجموعة يتِمُّ فيها الخروج عن القواعد الفرعية، لكنْ يستنبط المتحاوران ذلك المبدأ العام، وكلُّ خروج عن قانون معيَّن يمكن تأويلُه عن طريق افتراض أنَّ قانوناً ما يصطدم مع قانون آخر[١].

وللاستلزام الحواري عند (غرايس) مميزات وخصائص تتيح للمتلقي إمكانية الكشف عن تلك الظاهرة منها: إنَّ الاستلزام مُمْكِن إلغاؤه بإضافة قول يحول دونه ، فإذا قالت قارئة لكاتب مثلاً: ((لم أقرأ كتبَك كلَّها)) فقد يستلزم ذلك عنده أنَّها قرأت بعضاً منها ، ولكن إذا أعقبت بقولها ((الحق أنا لم أقرأ أيَّ كتابٍ منها)) فقد ألغت بقولها هذا الاستلزام ، وإنَّ إمكانية الإلغاء تلك هي التي تتيح للمتكلم أنْ يُنكر ما يستلزمه كلامه[٢] ، كما أنَّ الاستلزام متصل بالمعنى المقصود لا بالصيغة التي قيل فيها ، كما يرى (غرايس) أنَّ الاستلزام لا يتغير فلو قلنا تهكماً : أزيدٌ عبقري ؟ استلزم ذلك عند (غرايس) إنَّ زيداً أبله ، ولو قيل مكان العبارة الأولى إنَّ زيداً عبقري لاشتركت مع العبارة الأولى في مقتضى التهكم[٣]، وقد ذهب أحدُ الباحثين إلى أنَّ ((التغير الواحد يمكن أنْ يؤدي استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة)) [٤].

ويمكننا على هذا الأساس عدَّ الاستلزام الحواري ((ابن اللُّغة الحية، ولا يمكن الوصول إليه إلاَّ عن طريق استحضار البيئة التي وُلِد فيها))[٥]، يتَّضح من ذلك ((أنَّ الكلام يُبنى على العلاقة التخاطبية))[٦]، وقد ميَّز (غرايس) بين الفعل الكلامي

---

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث، طه عبد الرحمن أنموذجاً، د. ليلي كادة :١٧٤.

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٣٩.

(٣) ينظر: الاقتضاء التداولي اللساني:١٥٩.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٤٠.

(٥) التداولية بين النظرية والتطبيق:٢٢١.

(٦) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن:٢٣٧.

الكلامي غير المباشر وبين ظاهرة الاستلزام الحواري، إذ فرَّق بين المعنى الظاهري والمعنى المقصود الذي يريد المتكلم للمخاطب أنْ يعرفَه من الجملة وهو ما يُسمَّى عنده بالمعنى غير الطبيعي(١)، وقد أُطلِق عليها الاستلزام الحواري وفق مبدأ التعاون(٢).

مِمَّا يجدر بنا الإشارة إليه هو أنَّ هناك من نقدٍ وعدَّل أو طوَّر نظرية الاستلزام الحواري(مبدأ التعاون) ، وبِما إنَّنا بصدد دراسة هذه النظرية لا بصدد دراسة نقدها سنكتفي بهذا المختصر : إنَّ من وجَّه نقداً للنظرية وجد أنَّ مبدأ التعاون فيه مجموعة من الاستلزامات التي ترمي إلى جعل العملية الاستدلالية تُؤوِّلُ المقصود من طرف الملفوظات التي ينتجها المتكلم ، وهذا عندهم غير كافٍ ، وهذا ما دعاهم إلى القول بأنَّ هذا المبدأ لا يكفي(٣)، ومن أشهرهم:

١ – (هارنيش) (Harnish): إذ أضاف بعض التعديلات أهمها الجمع بين مبدئي (الكم والكيف)(٤).

٢ – هيدسون (Hidson): أشار إلى أنَّ مشروع (غرايس) لم يتجاوز بعض النماذج اللغوية المعروفة إلى نماذج أخرى (٥) .

٣ – صادُك (Sadock): وقد أشار إلى إمكان تقليص بعض مبادئ (غرايس)، وعدَّل بعض الاستلزامات الخطابية عند (غرايس)، فضلًا عن إضافته لمعايير أخرى لاختبار هذه المفاهيم.

---

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني:٩٨.

(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي، هشام عبد الله الخليفة:١٦٠.

(٣) ينظر الحوار ومنهجية التفكير النقدي: ١٤٥.

(٤) ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول (غرايس) : ٣٩ .٤٠

(٥) نقلاً عن بحث الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث (طه عبد الرحمن انموذجاً): ليلى كاده :١٧٣ .

٤ – ديدري ويلسون (D. Wilson) اللساني الإنكليزي، ودان سبيربر(Sperber D.) اللساني الفرنسي: نقدا قواعد (غرايس)، ذاهبَيْنِ إلى أنَّه يمكن لجميع قواعد (غرايس) أن تُوجز في مبدأ واحد ، وهو (مبدأ المناسبة)[١]

وضمن عملية التقويم والإضافة نجد (روبين لاكوف) (Robin Lakoffe) قد أضافت (مبدأ التأدُّب) من ضمن المبادئ التي تقوم عليها العملية التخاطبية في مقالها : (منطق التأدُّب) ، في قانون عام مفاده : ((لتكن مؤدَّبًا))[٢].

ويبقى الاستلزام الحواري من أبرز الظواهر التي تُميِّزُ اللُّغات الطبيعية أثناء عمليـة التخـاطب، كمـا أنَّ العديـد من الجُمـل رُوعي ارتباطُـها بمقامـات إنجـازها، لا ينحصر فيما تدلُّ عليها صيغتها الصورية [٣].

وقد أسَّسَ (غرايس) هذه النظرية التي تقول: ((إنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ويقصدون أكثر مِمَّا يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون))[٤]. ويتَّضح أنَّ (غرايس) اهتم بالقصد، فالقصد هو ما أراد المتكلم إيصاله إلى السامع من تأويله الذهني، بينما القول هو ما أشار إليه تركيب النص حرفيًا.

ومن دراسته للمعنى يصنِّفَه إلى صنفين كما ذكر سابقًا إلى معنى طبيعي وهو ظواهر وضعت في علاقة مع أعراضها أو نتائجها، وإنَّ المعنى غير طبيعي، فهي صلة قائمة بين محتويات يريد المتكلمون إبلاغها، والجمل التي استعملوها لإبلاغها[٥].

---

(١) نقلاً عن كتاب: (الحوار ومنهجية التفكير النقدي) : ١٣٢ .

(٢) نقلاً عن كتاب استراتيجيات الخطاب : ٩٧ .

(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني:٥٤.

(٤) آفاق جديدة: ٣٣.

(٥) ينظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٥٣.

أنواع الاستلزام الحواري:

- الاستلزام الحواري النموذجي(المُعَمَّم):

يتفق(غرايس) مع السكاكي ((بإجراء المعنى على الأصل وذلك باستعماله في سياقات عامة يتعذر على المرسل إليه الانتقال إلى قصد غير القصد الأصلي الذي يتطابق فيه معنى الخطاب مع قصد المرسل، وهو قصد المرسل وهو ما يُسمِّيهِ (عادل فاخوري) بالاقتضاء؛ لأنَّ الاقتضاء مفهوم منطقي بينما الاستلزام مفهوم لساني تداولي، وذلك إنَّ الاقتضاء يمتاز بكونه أمَّا الاستلزام فإنَّه يغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية))[١].

لا يتغير بتغير ظروف استعمال العبارة فهو ملازم لها في جميع الحالات والأحوال، ومثال ذلك النموذجي ويُسمَّى أيضًا الحوار الاستلزام المُعمَّم، والحوار الآتي:

حوار بين رجل وزوجته:

الزوج : أين الكتاب؟

الزوجة في المكتبة.

فالظاهر هنا أنَّ مبدأ التعاون مُتحقِّقٌ في هذا الحوار القصير، فأجابت الزوجة إجابة واضحة بالقدر الكافي (الطريقة) وكانت صادقة فيما تقول (الكيف) واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون تشعب أو زيادة (الكم) وكانت الإجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها (المناسبة) ولذلك لم يتولد عن قولها أيَّ استلزام؛ لأنَّها قالت ما تقصده[٢].

---

(١) استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)، عبدالهادي بن ظاهر الشهري: ٤٣١.

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٥.

- **الاستلزام الحواري(المخصَّص)**:

وهو ما تغير بتغير السياقات التي يرِدُ فيها وكان (غرايس) يُفكِّرُ ويبحث عن الإجابة عن سؤاله (كيف يقول المتكلم شيئًا ويعني شيئًا آخر. وكيف للمخاطب أنْ يَسمَعَ ويفهمَ شيئاً آخر) وبهذا الحال الذي سمَّاه (مبدأ التعاون) بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري(١).

إنَّ الاستلزام الحواري أو ما يُسمَّى بالمعنى غير الصريح، فإنَّه يحدث إذا ما تمَّ خرق قاعدة من القواعد السابقة ولتوضيح ذلك نصوغ الأمثلة التالية:

١ – خرق قاعدة الكم: حوار بين الأم وابنتها:

أ – هل قرأتِ وجاوبتِ في الامتحان؟

ب – قرأتُ.

فسؤال الأم يحمل نصفين، لكن إجابة ابنتها كانت على نصف واحد فلم تجب على السؤالين وعليه ينبغي على الأم أنَّ تعي بأنَّ ابنتها لم تجب في الامتحان. ففي هذا المثال خرق لقاعدة الكم؛ لأنَّ الجواب لم يكن بالقدر المطلوب.

٢ – خرق لقاعدة الطريقة:

أ – ماذا تريد؟

ب – قم بتنفيذ ضربة الجزاء، وضع الكرة في المرمى، ثُمَّ اتجه نحو الملعب من ثلاث جهات ثُمَّ عُدْ إلى المدرب، ثُمَّ اتجه نحو الملعب.

كان بإمكان (ب) أنْ يكتفي فقط برفع يديه. كلام (ب) يمتاز بالبطء في حين عليه أنْ يكون موجزاً، وهو ما ينتج عنه خرق لقاعدة الطريقة(٢).

٣ – خرق لقاعدة الكيف: حوار بين التلميذ (أ) والأستاذ (ب) وكلاهما عربي

---

(١) ينظر: التداولية علم جديد٥٥.

(٢) ينظر: افاق جديدة في البحث اللساني المعاصر: ٣٨.

أ – بغداد في مصر: أليس هذا صحيحًا يا أستاذ؟

ب – طبعًا ، ودمشق في أستراليا.

في هذا الحال انتهك الأستاذ مبدأ الكيف الذي يقتضي أنْ لا يقول إلاَّ ما يعتقد صوابه وما يملك عليه دليل. فالانتهاك هنا مقصود من أجل تبيان الخطأ للتلميذ. والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ؛ لأنَّه يعلم أنَّ دمشق ليست في أستراليا، ومن ذلك يستلزم أنَّ الأستاذ يقصد بقوله شيئًا آخر غير ما تقوله كلماته وهو أنَّ قول التلميذ غير صحيح(١).

٤ – خرق مبدأ المناسبة:

أ – أين أحمد؟

ب – ثمَّةَ سيارة صفراء تقف أمام منزل زيد.

إنَّ ما قاله (ب) ليس له علاقة عن السؤال الذي طرح، فهو ينتهك مبدأ المناسبة، ولكن السامع في ضوء هذه المبادئ الأخرى للتعاون يسأل نفسه ما هي العلاقة الممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل زيد والسؤال عن مكان أحمد، ثُمَّ يصل إلى المراد بهذا القول إبلاغه رسالة مفادها إنَّه إذا كانت لزيد سيارة صفراء فلعلَّه عند محمد(٢).

طبيعة الاستلزام الحواري:

تنقسم دلالة العبارة عند (غرايس) على قسمين:

١ – المعاني الصريحة: أنْ يكون الحوار دالٌ عليها بصيغة الجملة بذاتها، وتحتوي على المحتوى القضوي وهو ترابط المفردات فيما بينها والقوة الإنجازية الحرفية. والقوة

(١) ينظر: افاق جديدة في البحث اللساني المعاصر: ٣٦.

(٢) ينظر: آفاق جديدة:٣٨.

المؤثرة لها بأدوات تصيغ الجملة بصيغة أسلوبية كالاستفهام والنهي والنداء فهي معنى مباشر وحرفي [١].

٢ – المعاني الضمنية: وتشمل هذه نوعين معانٍ عُرفية وتكون مرتبطة بالجملة ارتباطًا مباشرًا وملازمة للجملة في مقام معين مثل: معنى الاقتضاء ومعاني التخاطب والتي تتولَّد منها الجملة مثل الدلالة الاستلزامية، والمعاني الصريحة ما تدلُّ بصيغة الجملة على ذاتِها وتشمل المحتوى القضوي، والمعاني الضمنية، التي لا تدلُّ على معاني صيغة الجملة بالضرورة، ولكنْ للسياق دخلاً في تحديدها، وهي معانٍ عُرفيَّة وترتبط بالجملة ارتباطًا أصيلاً، وتلازم الجملة ملازمة مقامٍ معيَّنٍ مثل: معنى الاقتضاء.

ومعانٍ حوارية والتي تتولَّد طبقًا للمقامات التي تُنجَز فيها الجملة مثل: الدلالة الاستلزامية[٢].

ويُمكن مِمَّا تقدَّم نخلصُ إلى أنَّ أهم مميزات الاستلزام الحواري، إنَّه يحاول أنْ يُقدِّمَ تفسيراً صريحاً لمقدرة المتكلم على أنْ يعني أكثر مِمَّا يقول بالفعل، أي أكثر مِمَّا يُعبِّرُ عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة[٣]، إذ بموجبه يمكن تحويل الخطاب من علاقاته الدلالية إلى علاقاته التداولية، إذ فسح المجال أمام توجهين متميزين من دون أنْ يناقض أحدهما الآخر: أولهما جعلَ من مقتضيات الخطاب مجموعة من الاعتقادات والخلفيات المشتركة بين المتخاطبين، وثانيهما نظر إلى المقتضيات على أنَّها مجموعة من القواعد والشروط المُحقِّقة لانسجام الخطاب[٤].

---

(١) ينظر : التداولية عند العلماء العرب: ٤٨.

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب:٣٥.

(٣) ينظر : الاقتضاء في التداول اللساني ، عادل فاخوري : ١٤١.

(٤) ينظر: الاقتضاء وانسجام الخطاب، د. ريم الهمامي : ٣٥ .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هدف (غرايس) من نظرية الاستلزام الحواري في الأصل هو وضع آليات للحوار من المحادثة اليومية المباشرة، وليس في صدد تأسيس قوانين شاملة وتبنّيها تأخذ على عاتقها حصر العملية التخاطبية بتلك القوانين والمبادئ[١].

مبدأ التعاون:

يعتمد الاستلزام الحواري في إطاره العام التنظيري على مبدأ يقتضي تعاون المتخاطبين فيما بينهم، حتَّى يتمكَّنوا من تحقيق النتائج المتوقفة على مقاصدهم، ثُمَّ الوصول إلى الهدف المتوخى من حوارهم، وقد أطلق (غرايس) على هذا المبدأ مصطلح (مبدأ التعاون)، وهو مبدأ ينطلق من فرضية تؤمن بأنَّ((التفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها بمقتضى التعاون القائم بين أطراف الحور))[٢]، إنَّ سبب اعتماد الاقتضاء التخاطبي في تحقُّقِهِ على مبدأ التعاون يكمن في توقُّفِهِ على خرق بعض بنود هذا المبدأ، ((فالاستلزام ينجم عن خرق قاعدة من القواعد الأربع مع عدم التخلي عن مبدأ التعاون))[٣]، وهذا لا يعني أنَّ حدوث الخرق يُفضي إلى الخروج عن المحتوى القضوي أو انتهاك للمعنى الدلالي، بل هو في مفهوم ((غرايس)) ((مستوى آخر من مستويات توليد الدلالة، حيث يتمكن المتكلم عبره من تضمين مجموعة من المعاني، ويقوم المستمع باشتقاقها من الرسالة اعتماداً على بعض القرائن اللفظية، والمقامية، والمعارف المشتركة بين المتكلم والمستمع))[٤].

والقواعد الأربع العامة هي على النحو الآتي:

---

(١) ينظر : بين نظرية السياق ونظرية الاستلزام الحواري : هيثم محمد مصطفى ، (بحث ضمن كتاب) التداولية في البحث اللغوي والنقدي : ٢٦٨ .

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ٩٨.

(٣) المصدر نفسه : ١٠٢.

(٤) الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول(غرايس)، رشيد الراضي: مجلة الفيصل عدد ٢٨٠ ص ٥٧.

١- قاعدة الكم: تُعدُّ حداً دلالياً، القصد منه الحيلولة دون أنْ يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة، وتتفرَّع إلى:

أ - لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.ب- لا تجعل إفادتك تتجاوز حدَّ المطلوب.

٢- قاعدة الكيف: القصد منها منع ادِّعاء الكذب أو إثبات الباطل، ولهذا يُطلب من المتكلم ألاَّ يُورِدَ من العبارات سوى التي تتوقف على دليل يثبت صدقها، وقد تمَّ تفريعها إلى:

أ - لا تقل ما تعلم خطأه .

ب- لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

٣- قاعدة الملاءمة: أو قاعدة العلاقة، وهي بمثابة حدٍّ مقصديٍّ، الهدف منها منع المتكلم من أنْ ينزلِقَ إلى مقاصدٍ أخرى مخالفةٍ لتلك التي استهدفها الخطاب، أي يراعي المقال بالمقام.

٤- قاعدة الجهة أو الكيفية: مدار اختلافها عن القواعد السابقة من حيث كونها لا ترتبط بما قيل، بل بما يُرادُ قولُه، والطريقة التي يجب أنْ يُقالُ بها، والهدف منها تجنب الاضطراب والملل والإيجاز المخل في القول، فهي ترتبط بالقاعدة الأساسية التي نُعبِّرُ عنها بـ(التزام الوضوح)، وتتفرَّع إلى:

أ - لتحترز من الالتباس.

ب- لتحترز من الإجمال .

ج- لتتكلم بإيجاز.

د - لِتُرَتِبَ كلامك[١].

---

(١) ينظر : المنطق والمحادثة : بول غرايس، بحث ضمن إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين : ٦٢١/٢.

جاءت هذه القواعد التي وضعها(غرايس) في الحقيقة صدى مؤكِّداً المعايير (الكانتية) (١٨٠٤) المتعالية المستندة إلى القياس الأرسطي[١]، غير أنَّ هذه المعايير لا تمثِّل قواعد المحادثة التي ينبغي على المخاطبين اتباعها حسب، بل تُمثِّلُ ما ينتظرونه من مخاطبيهم، فهي مبادئ تأويلٍ أكثرُ مِنْ كونِها قواعد معيارية أو قواعد سلوك، وعلى هذا تنخرط قواعد المحادثة بوضوح في التيار المعرفي خلافاً للقواعد المعيارية والتواضعية الخاصة بنظرية الأعمال اللغوية[٢].

ولقد ورد مبدأ التعاون في اللسانيات الحديثة عند الفيلسوف الأمريكي (بول غرايس) وذكره في محاضراته بعنوان محاضرات في التحاور. وإنَّ أساس المبدأ يقوم على أطراف الحوار وأنْ تتعاون فيما بينها لتحصيل المطلوب. أي يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار وقد يكون الهدف إمَّا محدَّدٌ قبل الكلام أو يحصل تحديدُهُ أثناء الكلام[٣].

وإنَّ (غرايس) كان ينظر كيف يكون مُمْكناً أنْ يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر وكيف يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر، فكانت نتيجة هذا التساؤل أنْ وضع (غريس) (مبدأ التعاون) [٤].

إن دلالة الاستلزام الحواري عند الباحثين تقوم على ثلاثة مواقف:

١ – تقوم على فهم المعنى المضمر في الحوار.

٢ – ظاهرة لغوية في الخطاب.

---

(١) ينظر : التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فليب بلانشية : ٨٤، والنقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني، د. محمد سالم سعد، بحث ضمن التداولية في البحث اللغوي والنقدي:١٣٠ .

(٢) ينظر : التداولية اليوم : ٥٧ .

(٣) ينظر: مفهوم التخاطب بين مقتضى التهذيب، طه عبدالرحمن، مجلة كلية الآداب، بني صلال، ج١، ١٩٩٤، ص٤٣-٤٤.

(٤) ينظر: افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص٣٦.

٣ – إنَّه معنى لازم لمعنى ظاهر.

وإنَّ نظرية الاستلزام الحواري تشكل بعدًا نظريًا أطلق عليه نظرية متكاملة[١].

ويتَّضح لنا الاستلزام من الحوار الآتي:

أ – هل الطالبة ج مستعدة لمتابعة دراستها الجامعية في قسم الشريعة.

ب – إذن الطالبة ج طبَّاخة ماهرة.

لاحظ (غرايس) ((أنَّ الحمولة الدلالية للإجابة (ب) تدلُّ على معنيين اثنين في نفس الوقت إحداهما حرفي، والآخر مستلزم. معناها الحرفي أنَّ الطالبة ج هي طباخة ماهرة ، ومعناها الاستلزامي أنَّها ليست مستعدة لمتابعة دراستها في قسم الشريعة))[٢].

خواص الاستلزام الحواري :

حدَّدَ (غرايس) مجموعة من الخواص التي يتمتع بها الاستلزام الحواري ويتميز بها من غيره وهي[٣] :

١ – يُمكِن إلغاؤه: ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسدُّ الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتب مثلاً: لم أقرأ كلَّ كتبك. فقد يستلزم ذلك عنده أنَّها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أنَّي لم أقرأ أيَّ كتابٍ منها، فقد ألغت الاستلزام، يحدث ذلك عندما يريد المتكلم إضافة ما من شأنِه أنْ يسُدَّ الطريق أمام المخاطب أثناء دخوله في عملية التأويل بغية الوقوف على المعاني الضمنية للعبارة، ولتوضيح لذلك، كأنْ تقول قارئة لكاتب مثلاً: لم أقرأ كلَّ كتبك، فقد يستلزم هذا الكلام

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٥٠.

(٢) التداولية عند العلماء العرب: ٤٥.

(٣) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٨.

أنَّها قرأت بعضها، أمَّا إذا قالت: الحقيقة إنَّني لم أقرأْ أيَّ كتابٍ من كتبك فيكون بذلك ردها إلغاء لأيِّ استلزام(١).

٢ – لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي: ويقصد (غرايس) بذلك أنَّ الاستلزام متصل بالمعنى الدلالي لِمَا يُقال، لا بالصيغة اللغوية التي قيل قبلها، فلا ينقطع مع استبدال عبارات أو مفردات بأخرى ترادفها، ما يقصُدُه لا يتغير المحتوى الدلالي ولا يقبل الانفصال باستبدال المفردات أو العبارات ولتوضيح ذلك من المقال الآتي:

– لا أريد أنْ تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

– أنا لا أتسلل، ولكنِّي أمشي على أطراف أصابعي خشية أنْ أحدث ضوضاء.

وعدم الرضا على هذا السلوك لايزال قائمًا، وهو ما يستلزمه رغم الصياغة في القول الثاني، ويمكن للاستلزام الواحد أنْ يؤدي إلى استلزامات مختلفة، وهذا ما يجعل الاستلزام التخاطبي متميزاً عن غيره من الاستدلال المنطقي كالافتراض المسبق(٢).

٣ – متغير: والمقصود بالتغير أنَّ التعبير الواحد يمكن أنْ يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا سألت طفلاً يحتفل بيوم ميلاده كم عمرك، فهو طلب للعلم، وإذا سألت السؤال نفسه لصبي عمره خمسة عشر عاما، فقد يستلزم السؤال مؤاخذة له على نوع من السلوك لا ترضاه له، وإذا سألت السؤال نفسه لفتى لا يمنع من اتخاذ قرار لا يخرج عن تعاليم الدين ومواضعات الأخلاق والأعراف، فقد يعني ذلك أنَّه من النضج، بحيث يستطيع أنْ يتَّخِذَ قراره ويتحمل مسؤوليته، ويكون متغير حسب اختلاف السياق، لو قلت لشخص إلعب جيدًا فهذا يستلزم مجموعة من

(١) ينظر: افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٨، وينظر: المعنى في فلسفة بول (غرايس) ، ٩١.

(٢) ينظر: المعنى في فلسفة بول (غرايس) : ٩٢.

الدلالات فقد يكون طلبًا ليتعمَّق في فكرة ما، وقد يكون توبيخًا لفعلٍ لا ترضى به كالإهمال وقد يكون نصيحة لأنَّها تنفعه مستقبلاً[١] .

٤ – يمكن تقديره: والمراد به أنَّ المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتَّجِهُ بها خطوة خطوة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام. فالمخاطب يقوم بخطوات مدروسة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام.

فالخطاب الحواري يقوم من أجل تحقيق هدف معين، باتباع خطوات خطابية تبدأ من مرحلة تحليل السياق بِما فيها التأويل الذهني واختيار العلامات اللغوية المناسبة له[٢]. وأنَّ هذه النظرية على الرغم من كثرة الانتقادات التي وُجِّهت إليها تحظى برواجٍ في أوساط الباحثين والمتخصصين[٣].

٥ – عدم الوضعية: هذه السَّمَة ببساطة بأنَّ الاستلزامات الخطابية لا تمثل جزءاً من المعنى الوضعي للعبارات اللغوية، بل للمعالجة بين المعنى الحرفي والضمني وبين المظاهر الصدقية وغير الصدقية[٤].

(١) ينظر: المعنى في فلسفة بول (غرايس) : ٣٩.
(٢) ينظر: افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٣٨-٣٩.
(٣) ينظر: المعنى في فلسفة بول (غرايس) ٩٢.
(٤) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٢٧٢/١.

الفصل الثاني

الاستلزام الحواري المعمم في الخطاب القرآني

توطئة

المبحث الأول: الاستلزام الحواري المعمم بوساطة العلامات اللغوية

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري المعمم بوساطة الأسوار

توطئة:

لابُدَّ من القول إنَّ تحقُّقَ بؤرة موضوعات الاستلزام الحواري قائم على الحوار وما يتطلبه من استراتيجيات مختلفة تبعاً لاختلاف المتحاورين في الدرجة والجنس والتكوين وتعدُّد ميولاتهم العقدية والفكرية، فضلًا عن قربهم وبعدهم من المحاوِر واختلاف الأُمَمُ والأزمان والأجيال، وكون الحديث مباشراً أو غير مباشر كلُّ ذلك حكاه لنا القرآن الكريم من القصص القرآني، فـ((القصة نظام لغويٌّ يعكس من خلفه نظام ثقافة الأُمَّة التي أبدعتها وحضارتها))[١]؛ وبذلك تكون الاستراتيجية في الحوار ذات سِمَةٍ تراكمية زمانية متوالية محكومة بعوامل الزمن والمكان والمحيط واستجابات المخاطب[٢]، وأهم من هذا وذاك تحقيق وظيفة اللغة المستعملة التي تتمثل بتقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق وتوجيه الناس صوب الحق، أي: التأثير في المُرسَلِ إليه ، وهذا قائم على نوع الاستراتيجية التي يستعملها المتكلم في ذلك الحوار الذي تقوم بُنْيَتُه بشكل أساسيٍّ على معرفة المُرسَلِ إليه والسياق بعناصره المتعددة ، فبتعدد مقاصد القرآن الكريم وأهدافه تتعدد السياقات ومنها تتعدد الأساليب والاستراتيجيات والأسوار اللغوية المستعملة في الحوار القرآنيّ . ومنه يُعلَمُ أنَّ ((للُّغةِ في المنظور التداولي وظ رئيستان: الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية))[٣]، فالأولى تتمثل بما تقوم به اللُّغةُ من نقل صحيح للمعلومات، فيُركِزُ المتكلم جهده نحو بناء الخطاب ليستطيع المتلقي أنْ يأخذ منه المعلومات الصحيحة والدقيقة ، والثانية ((يكمن دورها الرئيس في التعبير عن المقاصد التي ينويها المتكلم)) [٤]، وعليه يسعى الخطاب أو

---

(١) مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص : رولان بارت : ٧ . ٨ .

(٢) ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : د . محمد محمد يونس علي : ٧٩ .

(٣) استراتيجيات الخطاب : ٩.

(٤) استراتيجيات الخطاب : ٩.

الحوار عبر هاتين الوظيفتين التواصلية والتفاعلية إلى التعبير عن مقاصد معينة لغرض تحقيق أهداف محددة، وقد تظهر هذه المقاصد بشكل مباشر ورُبَّما لا تظهر فيستنتجها ويستدلُّ عليها المتلقي عبر معطيات كثيرة، فيكون معناها مُبطَّناً غير ما يدلُّ عليه شكلها اللغوي ، وأطلقوا على هذه الاستراتيجية (الاستراتيجية التلميحية) [١]، وهي تلك((الاستراتيجية التي يعبر بها المُرْسِلُ عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي؛ لينجز بها أكثر مِمَّا يقوله))[٢] ، ومنه يُعلم أنَّ القوة الإنجازية التي يمكن أنْ تواكب العبارات اللغوية (....) قوّتان:

١. قوة إنجازية حرفية: تنحصر في كيفية التعبير عن القصد الظاهر أصلاً في الخطاب بحسب ما يستلزمه السياق، وهو ما يُؤكِّدُ عليه الأصوليون بما يُسمَّى بالمنطوق أو المعنى الحرفي.

٢. قوة إنجازية مستلزِمة: تنحصر في كيفية التعبير عن القصد المراد باطناً، وهو ما يُسمَّى بالمعنى اللازم. ويمكن التمييز بين هاتين القوتين بما يأتي :

أولاً: تظل القوة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي يمكن أنْ ترِدَ فيها، أمَّا القوة الإنجازية المستلزمة فهي مرتبطة مقامياً بحيث لا يُمكِنُ تولِّدُها إلاَّ في طبقات مقامية معينة .

ثانياً : تأخذ القوة المستلزِمة وضعاً ثانوياً بالنظر إلى القوة الحرفية ، وذلك في أمرين:

١ – إمكان إلغائها ، وذلك بوضع قيد .

٢ – لا يُمكن التوصل إليها إلاَّ عِبْـرَ سلسلة من الاستدلالات والعمليات الذهنية تتفاوت عِبْـرَ الطول والتعقيد، في حين أنّ القوة الحرفية تؤخذ مباشرة من صيغة

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب : ٣٩٤.

(٢) المصدر نفسه : ٣٧٠ .

العبارة ذاتها [١]. وما عُنينا بدراسته هو القوة الإنجازية المستلزِمة في المنظور الغرايسي، وقد سمَّاهُ غرايس بـ(الاستلزام الحواريّ) . قسَّمَ غرايس هذا الاستلزام على قسمين :

الأول : الاستلزام الحواري المُعمَّم .

والثاني: الاستلزام الحواري المُخصَّص.

وحصة هذا الفصل هو القسم الأول، وهو (الاستلزام الحواري المُعمَّم)، وقبل الدخول في أقسامه لابُدَّ لنا من الوقوف على حدِّهِ.

▪ حدُّ الاستلزام الحواري المُعمَّم:

عرَّفه التداوليون بأنَّه: ما لا يحتاج عند حدوثه إلى معرفة مسبقة خاصة بسياق اللَّفظ لتكوين الاستدلالات الضرورية بلْ يُولِّدُه الشكل اللغوي، وبهذا الاعتبار فإنَّ شِدَةَ ارتباطه بشكل العبارات ومحتواها جعلته عِرْضَة إلى الالتباس بالاستلزامات الخطابية الوضعية [٢]، قال غرايس: ((وقد يعسرُ في هذا الصدد إيجادُ أمثلةٍ لا تُثيرُ الخلاف بِما أنَّه من الهيّن كثيراً معاملة استلزام محادثي مُعمَّمٍ على أنَّه استلزامٌ وضعيٌّ))[٣] ، وقال د. عادل فاخوري:((وذلك أنَّه من العسير تمييز هذه المقتضيات أراد الاستلزام المُعمَّم عن المضمون الدلالي للألفاظ ، فاقترانُها بالألفاظ الملائمة هو أمرٌ مألوف في كلِّ السياقات العادية))[٤] ، وقيل إنَّ هذا الاستلزام يتولَّدُ في الأغلب نتيجة الاستخفاف بقاعدة الكم؛ لعدم توفر المعلومات الكافية لدى المتكلم، فلا

(١) ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي : أحمد متوكل : ٢١ .٢٣ .

(٢) ينظر: التداولية : جورج يول : ٧٢ ، والقاموس الموسوعي للتداولية : ٢٦٧ .

(٣) المنطق والمحادثة(مقالة) : إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٣٣ .

(٤) محاضرات في فلسفة اللغة : ٤١ .

يستطيع تحديد ذلك الشيء النكرة [١] ، وهذا إشكال آخر ، ولكنْ على الرغم من كلِّ تلك الاحتمالات يُمكن جعل كلٍّ من الاعتبارات الآتية مائزاً بين الاستلزام الوضعي والاستلزام الحواري [٢].

قد تكون دلالة الرابط في الاستلزام العرفي أو الوضعي غير مختلفة عن المعنى المنطقي، فلو تأمَّلْنا الفرق بين الجملتين الآتيتين:

أ . باريس هي عاصمة فرنسا ولندن عاصمة إنكلترا، فلو عكسناها:

ب . لندن عاصمة إنكلترا وباريس هي عاصمة فرنسا ، لوجدنا أنَّه لا يؤثِّر ذلك على دلالة الرابطة الوظيفية والمنطقية في الجملتين ، أمّا لو قلنا:

أ . امتطى زيد جواده، وابتدأ أسفاره ، فلو عكسنا القول:

ب . ابتدأ زيد أسفاره، وامتطى جواده .

فلا تتوافق (ب) في معناها المنطقي والوظيفي، ولا يمكن تخريجها إلاَّ من باب خرق قاعدة (الوضوح)، أي: (كن منظماً).

ومنهُ يُعلم أنَّه باستطاعة المتكلمين أنْ يُنكِروا أنّهم أرادوا إيصال هذه المعاني المستلزمة بصريح العبارة أو(بالإبدال أو التعزيز) بطرائق شتى نحو: ربحت خمسة دولارات (خمسة فقط) . فهذا يستلزم أنَّه ربح خمسة فحسب ولكن:

أ. يمكن إيقافه بإضافة (على الأقل) نحو: ربحت خمسة دنانير (على الأقل) .

ب . أو إلغاؤه بإضافة تعبير يأتي غالباً بعد (في الواقع): ربحتُ خمسة دولارات، في الواقع، ربحتُ عشرة !

---

(١) ينظر: المنطق والمحادثة : إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية : ٦٣٣ ، والتلويح الحواري : ٣٤.

(٢) ينظر : المنطق والمحادثة (مقالة) : إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢/ ٦٣٥ . ٦٣٦ ، والقاموس الموسوعي للتداولية: ٢٦٩ . ٢٧٣ ، والتداولية : ٧٧ .

ج . أو تعزيز التضمين بمعلومات إضافية: ربحتُ خمسة دولارات، أي أربع مرات أكثر من واحد.

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّه يجب أنْ يكون لدى المتكلم معرفة مسبقة بردِّ فعل المتلقي حتى يستطيع توجيه الخطوات الموالية في عملية الإرسال حيث يَعدِلُ، أو يُعزِّزُ، أو يُلطِّفُ في محتويات الرسالة وهو ما أُطلِق عليه(الاسترجاع)، فيغير في الشفرة المستعملة حينئذٍ[١].

١ – غير قابل للانفصال: نحو قولُك لِمَن يرفع صوته: (أنا أتأذَّى من صوتك العالي)، فيقول: (أنا أحبُ أنْ أتكلمَ بصوتٍ عالٍ)، والقول الثاني: لا ينفي ما يستلزمه القول الأول[٢]، وهو: إنَّك تتكلم بصوت عالٍ، فلا ينفصل الاستلزام حينئذٍ عن قولك لكونه جاء بما يرادفه، فالاستلزام مرتبط بالمعنى الدلالي ولا يتغير باستبدال مفردات وعبارات أخرى مرادفة ؛ إذ لا علاقة له بالصيغة اللغوية الشكلية للعبارة. وبخلاف ذلك : أنت الأستاذ.

أنتم الأستاذ.

فهُنا يمكن فصل الاستلزام المقترن بـ (أنتم) لمَّا كان المخاطب مُبعداً أو أرفعُ منزلة من المتكلم ؛ لأنَّها غير مقترنة بالشكل اللغوي (أنت) .

إنَّه مُتغيِّرٌ بتغير السياقات التي يرِدُ فيها، فقد يؤدِّي تعبير واحد استلزامات مختلفة، كقولي: السلام عليكم، يُحتَملُ فيهِ احتمالات عِدَّة: فقد يُرادُ به تحية الدخول، وقد يُرادُ تحية الخروج ، وقد يراد بهِ المقاطعة والمخاصمة .

إنَّه يُمكن تقديره: بمعنى أنَّ المتكلم بإمكانِهِ أنْ يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليات الذهنية بناءً على ما سمعَهُ من كلام وصولاً إلى الاستلزام

---

(١) ينظر: المحاورة (مقاربة تداولية) : ٣٩ .

(٢) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية، محمود عكاشة : ٩٣ .

المطلوب بعيداً عن المعنى التركيبي، نحو قول أحدهم: (فلان أسد)، فلا يُرادُ هنا حقيقة المعنى بل يُرادُ الشجاعة، ونحو: المرأة الحديدية، فيُرادُ منه الحزم والقوة، فضلًا عن أهمية اتباع نظام التناوب بين المتحاورين وإلاَّ سيؤدي إلى تشويش ذلك النظام ومقاطعة الآخر قبل إتمام الحديث.

وأرى من خلال الأمثلة التي عرضها غرايس وكلٌ من ترجم وشرح نظريته أنَّه يُمكن تقسيم الاستلزام الحواري المُعمَّم على قسمين :

أحدهما : المُعمَّم المُتولِّدُ بوساطة الأدوات اللغوية .

والآخر : المُعمَّم السُلَّمي أو (الدرجي) [١] .

(١) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية، محمود عكاشة : ٩٣ .

المبحث الأول

الاستلزام الحواريُّ المُعمَّم

المُتولِّدُ بوساطة العلامات اللغوية(التنوين)

ومنه اقتضاء الاسم النكرة الذي لا يَمُتُّ مُسمَّاهُ بصلة قريبة إلى المتكلم[١]، قال غرايس : ((وأقترح مثالًا أرجو ألاَّ يكون البتة مثيراً للخلاف، إنَّ أيَّ شخص يستعمل جملة من قبيل(يلتقي (س) امرأة هذا المساء)، سيستلزم مبدئياً أنَّ الشخص الذي سيكون في الموعد ليست زوجة (س)، أو أمُّه أو أخته أو...))[٢] .

فتقديم غرايس هنا مثال المركَّبِ الإسمي:(س) ما (أي اسم نكرة) يستلزم محادثيًا أنَّ (س) ليس له علاقة قرابة بشخص محدَّدٍ (المتكلم) وغيره[٣]، وينطبق هذا في العربية باستعمال التنوين علامة على التنكير نحو: (كنتُ جالساً في حديقةٍ ذات يوم)، (نظر طفلٌ من فوق السياج) فاستلزم قوله هذا أنَّ الحديقةَ والطفلَ ليست عائدة الى المتكلم وغير معلومة لديه. [٤]

وحاول غرايس في هذا النوع من الاستلزام أنْ يضع ثلاثة معانٍ، قال: ((إنِّي أميل الى اعتبار أنْ لا أحد سيصغي بانتباهٍ الى فيلسوف ما يُشير الى وجود ثلاثة معانٍ لصيغ ترِدُ فيها عبارة (س)، أمَّا المعنى الأول فيدلُّ فيه تقريبًا على شيء ما يستوفي شروط تحديد العبارة(س)، أمَّا المعنى الثاني فيدلُّ فيه على وجه التقريب أنَّ (س) (بالمعنى الأول) لا تربطه إلاَّ علاقةٌ غير وثيقة نوعاً ما بشخص يُحدِّده السياق، ويوجد مع ذلك معنى ثالثاً مفادُه أنَّ شخصاً ما (س) بالمعنى الأول تربطه

---

(١) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة : ٤٠ .

(٢) المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٣٣ .

(٣) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية : ٢١٣

(٤) ينظر: الحوار المعمم في القرآن، مجلة بحوث الشرق الأوسط ع٥٣، ٢٠١٩ :٣٧٤.

علاقة وثيقة بشخص يُحدِّدُه السياق))[١]، وسنشرع في الحديث عن هذه المعاني عِبْـرَ تطبيقها في الخطابات القرآنية التالية:

في الآية التالية: قال الله تعالى مخاطباً المسلمين:﴿**مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (آل عمران: ١٤٤). إنَّ المميز الأساس بين لغة الإنسان وغيره من المخلوقات هي (القصدية) ؛ إذ إنَّ الكلام لا يخلو منها؛ لأنَّها تكسبه دينامية وحركة، بل هي منطلق الدينامية[٢]، ومن الباحثين((من قصرها على ما ورد فيه جذرها صراحةً أو ضمناً (بارت)، ومنهم من جعلها مسبقة (كريماص)، ومنهم من جعلها ميكانيكية موجهة (أوستن، وغرايس، وسيرل) بيْدَ أنَّها لا تقتصر على المتكلم بل تشمل المخاطب أيضاً))[٣]، وما يعنينا هو (غرايس) الذي أولى للقصدية ركناً مهماً في نظريته (نظرية المعنى) وناقش فلسفة اللُّغة في إطار فلسفة الفعل وفلسفة العقل، ((ولعلَّ هذا مِمَّا حدى بجون سيرل إلى القول بأنَّ تأثير فنجنشاتين المتأخر وأوستن وغرايس يعيد صياغة الكثرة الكثيرة من المشكلات في فلسفة للُّغة في السياق الأكبر لمناقشة الفعل والسلوك الإنساني بصفة عامة ...))[٤]، ولو تأمَّلنا في بناء هذا الحوار فسنجد أنَّ دينامية النص أو المحرك الأساس فيه هي العلامة التداولية **(رسولٌ)** فمجيؤُها نكرةً إنَّما كان لتحريك النص فـ((أعلَمَ اللَّه جلَّ وعزَّ أنَّ الرُسُلَ ليْست باقية في أُمَمِها أبداً وأنَّه يجب التمسك بما أتَتْ به، حتَّى وإنْ فُقِدَ الرسُولُ بموت أو قتل ، وألفُ الاستفهام دخلت على حرف

---

(١) المنطق والمحادثة (مقالة) : إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية: ٢ / ٦٣٣_ ٦٣٤ .

(٢) ينظر: دينامية النص (تنظير وإنجاز) : محمد مفتاح : ٣٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨ .

(٤) نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس : ٣٠

الشرط ومعناها – الدخول على الجزاءِ، المعنى أتنْقلبون على أعقابكم إنْ مات محمد أو قُتل، لأنَّ الشرط والجزاءَ معلق أحدهما بالآخر فدخلت ألفُ الاستفهام على الشرط وأنبأت عن معنى الدخول على الجزاءِ))[١]، واستعمال آلية التنكير **(رسولٌ)** يستلزم عدم وجود معرفة مشتركة بين الله ورسوله، والواقع خلاف ذلك؛ إذ أنَّه ذكر اسمه صريحاً محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وهذا موافق للمعنى الثالث الذي ذهب إليه (غرايس) في هذا الاستلزام الحواري المُعمَّم[٢]، وإنَّما جاء تعالى بـ**(رسولٌ)** مُنكَّراً لما في التنكير من دلالة على التعظيم، وعليه فإنَّ دقة اختيار المولى لهذا التنكير تُبيِّنُ لنا أنَّ الوظيفة التداولية له هي الوظيفة الإقناعية، يُؤيِّدُ ذلك قول أرسطو ((متكلمٌ مُعبِّرٌ، يبحث بطبعه عن الإقناع ويحاول أنْ يَصِلَ بكلامه إلى إقناع أكبر عددٍ مُمكنٍ من الناس بوسائلٍ مُستمدَّةٍ من التفكير))[٣]، ووصلاً بما سبق نجد أنَّ التداولية بمجمل أبعادها وما بينها الاستلزام الحواري تُقدِّمُ تأويلاً للملفوظات، على أنْ يكون ذلك الويل ذا قيمة إبلاغية[٤]، فالقيمة الإبلاغية المشار إليها هنا أنَّ محمداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) مثلُ غيره من الرُسُل ولا يجب عليهم أنْ ينقلبوا على أعقابِهم ويتركوا الدين إذا مات أو قُتِلَ، فالمسلمون يعبدون الله الذي لا يموت، وما وظيفة النبيّ محمدٍ إلاَّ التبشيرُ بالإله الواحد وهذا هو عمل الأنبياء.

أمَّا في قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم وكلَّ مُتلَقٍ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ **(الأنبياء: ١٠٧)**. إنَّ الاستراتيجية التلميحية الواردة في الخطاب القرآني في تنكير (رحمة) تكشف لنا أنَّ هذه الرحمة ليست لها صلة بالله تعالى وهذا عكس

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحاق الزجاج :٣٤٣/١.

(٢) ينظر : المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٣٤ .

(٣) الخطابة: أرسطو: ٩.

(٤) ينظر : القاموس الموسوعي للتداولية: ٣٠.

الواقع ، فمن المُسلَّم به أنَّ الله عزَّ وجلَّ مسؤول عن هذه الرحمة فهو مرسلها ويقصد بها النبي الأكرم، فهو الذي جسَّدَ هذا المعنى في شخص الرسول ليكون سبباً من أسبابه، وهذا ما كشفه المعنى الوظيفي في التركيب، ولو رجعنا للتحليل الذي سجَّله غرايس: ((ويوجد مع ذلك معنى ثالثاً مفادُه أنَّ شخصًا ما (س) (بالمعنى الأول) تربطه علاقة وثيقة بشخص يحدِّدُه السياق))[١]، وعليه يمكن القول إنَّ تأويل الملفوظات على وفق غرايس ((يتوقف على عاملين اثنين: معنى الملفوظ والسياق المقامي لإنتاجه))[٢] فمع التوجيه النحوي هذا يستلزم معانٍ جديدة للرحمة، وهي أمَّا أنْ تكون سبباً أو وصفاً للحال التي عليها الرسول، فالسياق التركيبي أضفى على هذا الاسم شيئاً من الملازمات التي تُضاف إلى شخص الرسول فيكون هو سبباً لمواطن رحمة الله في أرضه، فقوله: (إِلاَّ رَحْمَةً) : يجوزُ أَنْ يكونَ مفعولاً له أي: لأجلِ الرَّحْمة، ويجوزُ أَنْ ينتصِبَ على الحال مبالغةً في أَنْ جَعَلَه نفسَ الرحمة))[٣]، ولأجل هذا وذاك عُني علم اللسانيات بدراسة اللغة؛ بوصفها أداة تواصلية وسلوكية في الوقت ذاته[٤]. في الخطاب القرآني التالي: **﴿مَا أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (النساء: ٧٩)**. لو تأمَّلنا قليلاً في هذه الآية فسنلحظ أنَّ استعمال الله أسلوب التنكير في قوله (من حسنةٍ) و(من سيئةٍ) استلزم أنَّه تعالى لا يعرف تلك الحسنة على الرغم من أنَّه هو مرسلها، وهذا موافق للمعنى الثالث الذي ذهب إليه غرايس في هذا الاستلزام

(١) المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٣٤ .

(٢) ما التداوليات ؟ بحث : عبد السلام اسماعيلي علوي في كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: ٢١.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: ٢١٤/٨.

(٤) ينظر : التداولية من أوستن إلى فوغمان: ١٩ .

الحواري المُعمَّم[١]، ومنه يُعلم أنَّ المعنى في تداولية الاستلزام المُعمَّم لا تحدِّدُه قواعد لغوية بل تحدِّدُه طريقة إنجاز الملفوظ داخل المقام، وأنَّ الغاية الخطابية التداولية المستعملة في لغة هذا الحوار القرآني هي غاية إعلامية فقط ، يُؤيِّدُ ذلك ذهاب التداوليين إلى أنَّ الغايات الكلية للتخاطب التي لا تكاد تخلو من سِمَةٍ اجتماعية إمَّا أنْ تكون نفسية أو إعلامية ، أو دينية ، أو أيديولوجية ، أو أخلاقية أو فنية[٢] . والمرادُ من الآية الكريمة ((مَا أَصَابَكَ يا إنسان خطاباً عاماً... والمخاطب به النبي عليه السلام والمرادُ غيرُه (مِنْ حَسَنَةٍ) من نعمة وإحسان (فَمِنَ الله) تفضلاً منه وامتناناً (وَمَا أصابك مِن سَيِّئَةٍ) من بلية ومصيبة (فَمِن نَّفْسِكَ) فمن عندك أي فيما كسبت يداك وما أصابَكم من مصيبة فبِمَا كسبت أيديكم (وأرسلناك لِلنَّاسِ رَسُولاً) لا مقدراً حتى نسبوا إليك الشدة، أو أرسلناك للناس رسولاً فإليك تبليغ الرسالة وليس إليك الحسنة والسيئة (وكفى بالله شَهِيداً) بأنَّك رسوله وقيل هذا متصل بالأول أي لا يكادون يفقهون حديثاً يقولون ما أصابَك وحَمْلُ المعتزلة الحسنة والسيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بيِّنٌ، وقد نادى عليه ما أصابَك إذ يُقالُ في الأفعال ما أصبْتَ ولأنَّهم لا يقولون الحسنات من الله خلقاً وإيجاداً فأنَّى يكونُ لهم حجة في ذلك وشهيداً تمييز))[٣].

_ وفي سيرورة السياق نلحظ قوله تعالى مخاطبا الرسول الكريم: ﴿**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ**﴾ **(التوبة: ٥٠)**. لو تأمَّلنا الوحدة الحوارية، لوجدنا أنَّ الله تعالى استعمل الاستراتيجية التلميحية في قوله (حسنة) و(سيئة) إذ اللَّفظتان نكرة، ويُولِّدُ تنكيرهما أنَّه ليس هناك

(١) ينظر : المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٣٤ .

(٢) ينظر : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ٨٣.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله النسفي:١/٣٧٦.

من معرفة مشتركة بين الله ورسوله، على الرغم من أنَّ الله هو المتحكِّمُ بالقدر، وهذا يتوافق مع المعنى الثالث الذي وضعه غرايس في هذا الاستلزام قائلاً : ((ويوجد مع ذلك معنى ثالثاً مفادُهُ أنَّ شخصًا ما (س) (بالمعنى الأول) تربطه علاقة وثيقة بشخص يُحدِّدُه السياق))[١]، والذي يُؤكِّدُ ذلك قوله تعالى ﴿إِنْ تُصِبْكَ﴾ فالفعل تصبك يعود الضمير فيه على المولى عزَّ وجلَّ، فـ((إِنْ تُصِبْكَ في بعض الغزوات حَسَنَةٌ ظفر وغنيمة تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ نكبة وشدّة في بعضها نحو ما جرى في يوم أحد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك، ويَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا أي أمرنا الذي نحن متسمون به، من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع، وتولوا عن مقام التحدُّثَ بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وَهُمْ فَرِحُونَ مسرورون. وقيل: تولوا: أعرضوا عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم))[٢]، ومنه يُعلَمُ أنَّ الحسنة والسيئة المضمرة هي من عند الله وحده.

_ من مضامين خطاب الله للنبي ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَناتِ عَمِّكَ وَبَناتِ عَمَّاتِكَ وَبَناتِ خالِكَ وَبَناتِ خالاتِكَ اللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنا مَا فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ **(الأحزاب: ٥٠)**. نرى الطلب الإنجازي (النداء) الذي افتتحت به الآية للفت انتباه النبي، وبيان مدى علاقة المنادى بالمنادي إذ تنعكس؛ لتكون تعبيراً صادقاً عن أبعاد هذه العلاقة، ولاسِيَّما أنَّ النداء موجه إلى النبي وثُمَّ المؤمنين عامة، فـ((الفائدة التي يتوخاها القرآن الكريم من النداء للفت نظر المُنادى، وتنبيهه على

(١) المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٣٤ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري:٢/٢٧٨.

الأمر الذي يليه))[1]، ويرى بعض العلماء أنَّه((في العربية إذا روت الأخبار عن أمر عظيم ، جعلته نداءً))[2]، وجاء النداء في الخطاب القرآني بغية توصيل ما يُرادُ عن طريق الاستدعاء؛ لذا كان اختيار الأسلوب النفسي المُؤثِّرُ فيه، لتوصيل البث الندائي إلى الإنسانية، لما للنداء من استقطاب للمتلقي ضمن فرضية الإنجاز في حيز ما نادى به المُرسِلُ في سياق تنظيم نصي؛ إذ أنَّ للنداء فعلاً إنجازياً مخصوصاً يميل إلى الاتجاه صوتياً إلى المخاطَب، على أنَّ المنادى ليس هو المركز فقط، وإنَّما ينتشر إلى ما هو أبعد من المنادى وهو الأشكال والبنى التي بعده، فهي التي تكسبه طاقة الإنجاز من خلال قراءة ضمنياته بالقيمة التي يعطيها السياق، ومِمَّا لاشكَّ فيه أنَّ ما سيأتي بعد النداء ذو أهمية خاصة يُرادُ له أنْ ينتبه إليه المتلقي ويتأمَّلَه جيداً، وبالنتيجة يحدث التواصل.

وإنّ التفاعل التواصلي الملحوظ في هذا الخطاب يرمز إلى أنَّ استعمال العلامة اللغوية **(امرأة)** نكرة موافق للمعنى الثاني عند (غرايس)[3]، فاستعمال صيغة (امرأة) بالتنكير يستلزم التَعْميم وتوسعة المساحة الكاملة لحرية الزواج عند النبي من كل امرأة بشرط أنْ يتحقق الوصف وهو (مؤمنة) وهذا يستلزم الحق الشرعي الذي أُعْطِيَ للرسول دون غيره، هذا على الرغم من توفر شروط تحديد ملامح (س) وهو الصفة مؤمنة، إلاَّ أنَّها غير معروفة، والمرأة المقصودة في الآية الكريمة هي واحدة بعينها، وجاءت نكرة موصوفة حتَّى تكون نكرة مخصصة، فتكون خالصة للنبي ((وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً أي: وأَحلَلْنا لك امرأة مؤمنة إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لك، إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها أي: إِنَّ آثر نكاحها خالِصَةً لَكَ أي: خاصة. قال الزجَّاج: وإِنَّما قال: إِنْ

(١) الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، الألباني : ٩٧.

(٢) التبيان، العكبري : ٤ / ١١٥.

(٣) ينظر : المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢/ ٦٣٣ .

وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيّ، ولم يقل: (لك)، لأنَّه لو قال: (لك)، جاز أنْ يُتوهَّم أنَّ ذلك يجوز لغير رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم))[١].

ويستلزم من ذلك أنَّ النبيَّ يحلُّ له من النساء المؤمنات اللواتي يهبْنَ أنفسهن له ولا يجوز أنْ يكونَنَّ لغيره.

_ لو تأمَّلنا قوله تعالى: ﴿**أَكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَساحِرٌ مُبِينٌ**﴾ (**يونس: ٢**). استعمل الخطاب العلامة اللغوية (رجل) نكرة على الرغم من أنَّ المقصود هو الرسول محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وهذا المعنى يتوافق مع المعنى الثالث من الاستلزام الحواري المُعمَّم عند (غرايس)[٢]، فالله عزَّ وجلَّ يعلم من هو ذلك الرجل، وعليه فالمعنى الضمني المستلزم هنا هو الوظيفة الاقناعية، وكأنَّه أراد أنْ يُنكِرَ تعجُّبَهم من كون النبي الذي جاء بالوحي هو رجل من جنسهم، وإنَّما قيل (للناس)، لا (عند الناس) للدِلالة على أنَّهم اتخذوه أعجوبةً لهم وفيهِ من زيادةِ تقبيحِ حالِهم ما لا يَخْفى[٣]، ولمَّا كان الاستفهام ((أسلوباً لغوياً أساسه طلب الفهم))[٤]، فهذا يعني أنَّه يتجه صوب تحريك آراء المتلقي ومعتقداته التي تكمن في ذهنه، وتندرج ضمن مقام مجتمعي يسودُ فيه المتواضع عليه؛ لذا فالمقصود بالفهم على وفق تعريف الاستفهام السالف هو ((حصول صورة المُراد فهمُهُ في النفس وإقامة هيئته في العقل))[٥]، وإنَّ هذه الهيئة المقامة أو التي ستُقام تكون ذات بنية

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي:٣/٤٧٤.

(٢) ينظر: المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢/ ٦٣٣ .

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود:٤/١١٦.

(٤) في النحو العربي (نقد وتوجيه): ٢٦٤.

(٥) دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، محمد محمد ابو موسى: ٢٠٣. ٢٠٤.

مقصودة؛ تتعاضد مع مستوى المهارة الاستدلالية، ولاسِيَّما بما يتعلَّقُ بجودة اختيار أداة الاستفهام، واستثمارها في عرض السياق، وتأسيساً على ذلك تكون النسبة العميقة للاستفهام أكثر تأثيراً في النفس، وأكثر إقناعاً لخدمة مقصدية الاستلزام؛ ولذا ذهب التداوليون إلى أنَّ القصد والمقام يشكلان ركيزة أساسية في توليد الاستلزام الحواري وفلسفة التفكير، والمقام هنا (الاقناع)، ومنه يُعلَمُ أنَّ ((المحتوى الدلالي للقول يخضع للتأويل قبل النوايا التي ترافقه بكثير، وتؤوَّلُ هذه بالنظر إلى أنَّ المُستَقْبِلَ يعرف مسبقاً قيم الدلالات المواكبة المحتملة للقول))[١]، فتأويل ما تقدَّم هو (الشكُّ) لاحتمال إنكار كون الرسول رجلاً مثلهم واتهامه بالسحر، على الرغم بأنَّ النية (التعجب) من أمره تعالى، وهذا دليلٌ على أنَّ المشاركين في الخطاب يستعملون التلميحات اللسانية (الاستلزام الحواري)[٢]. وفي هذا التنكير هناك ملازمات منها.. أنَّ المُرسِلَ هو رجل وليس امرأة لأنَّه لا يصلح أنْ يكون الرسول إلاَّ رجلاً...وقيَّدَ الوصفَ في شبه الجملة (منهم) فجعل هذه النكرة تخرج من العموم وتدخل في حيز أقل سعة وهو الأمة التي يعيش فيها النبي .. فهو رجل منكم أي: من جنسكم ومن ملَّتِكُم ومن البيئة التي تعيشون فيها.

_ في السياق ذاته نجد الوحدة الحوارية الآتية في قوله تعالى :﴿ **نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً**﴾ **(الإسراء: ٤٧)**. فإذا تأمَّلنا الخطاب القرآني نجد أنَّ سياق الاستلزام فيه متشابه مع الخطابات السابقة، فتحدَّثَ الله على لسان المشركين الذين يستمعون للقرآن دون انصات ويخالطونه باللهو من أحاديثهم[٣]، كما ساعد الفعل (يستمعون)

(١) مدخل إلي دراسة التداولية (مبدأ التعاون والملاءمة) : ٧٠ .

(٢) ينظر : التداولية التجريبية (دور جريس في دراسة اللغة) (بحث) ، آفاق تداولية : ١٠١ .

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى القرآن الكريم:١٧٦/٥.

على تشخيص حقيقة استماعهم للنبي وادِّعائِهم الإيمان، ولاسِيَّما أنَّ هذا التشخيص جاء عن طريق حاسة مُؤثِّرة في النفس؛ فالتشخيص ((قادر على تحقيق الإثارة والدهشة وتحفيز الذهن بمحفزات واضحة ، وإنْ لم تكن مرئيَّة))[١].

والله يعلمُ أنَّهم يتهامسون بينهم إنَّما تتَّبِعون رجلاً أصابه السحرُ، وقد وردت العلامة اللغوية(رجلاً) في هذا الخطاب نكرة للدلالة على أنَّه رجل من جنسهم إلاَّ أنَّ الظالمين يُنكِرون معرفتهم بحقيقته، وهذا يتوافق والمعنى الثالث من معاني (غرايس)، والمعنى المُستَلْزَمُ من قول الظالمين إنَّه رجلاً من جنسهم وليس أيَّ رجلٍ هو تكذيبهم وإنكارهم لصدق نبوته، بدلالة استعمال قولِهم (إنْ) النافية، فهي للتوكيد والتوكيد عند النحاة، هو رفع توَهُّمٍ سابقٍ عند المخاطب[٢]، والوظيفة النحوية للمؤكِّد (إنَّ) في الخطاب القرآني هو إقناع المتكلم للمخاطب بشيء ما أو دحضه عن الاعتقاد بموقف ما[٣]، واستعمالهم فأعطى قوة في التقرير وأنَّ ((القوة والغرض عنصران مكملان للمعنى؛ فالقوة درجة والغرض وظيفة لكل غرض رئيس أغراض فرعية ، وفقاً لسياقات الاتصال))[٤] .

وقد تكرَّر قوله تعالى على لسان المشركين (رجلاً مسحوراً) مرتين إذ تتولَّدُ من التكرير دلالات تخصُّ المعنى، وتمنحه امتدادات متباينة، وإيحاءات ذات تأثير واضح على المتلقي[٥].

---

(١) الصناعتين، أبي هلال العسكري: ٢٧٥.

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي في سورة آل عمران دراسة نحوية وأسلوبية، د. عطية الغول :٢٤٥.

(٣) ينظر: الواجب وغير الواجب في كتاب سيبويه، أفراح بنت علي المرشد:٩٠.

(٤) تعديل القوة الإنجازية، تهاني سهل العنيبي(بحث): ٣١٩.

(٥) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد: ٢٨١.

_ أمَّا في الخطاب الوارد في قوله تعالى على لسان المشركين:﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ **(النحل: ١٠٣)**. نجد أنَّ الخطاب قد استخدم الاستراتيجية التلميحية عِبْرَ استعمال العلامة اللغوية(بشرٌ) نكرة وهو معروف من قبلهم إلاَّ أنَّه ليس منهم وهذا يتوافق والمعنى الثاني من معاني (غرايس)[١]؛ لذلك يجب أنْ نسترجع السمات المقترنة بالشخصيات في القصة لكي نستنتج المعنى الشمولي الاستلزامي [٢]، فالقصدية الإيحائية في الآية الإنكار، والخصائص المركبة المرتبطة بالشخصية تتمثل في أنَّ ذلك الرجل الذي ينسبون له القرآن (أعجمي)، فأرادوا بـ(البشر) غلاماً أخذ الرسول المضامين القرآنية منه، ((وقيل: هو سلمان الفارسي، واللسان: اللغة، ويُقالُ: ألحدَ القبر ولحده، وهو ملحد وملحود، إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شقٍّ منه ثُمَّ أُستُعِيرَ لكلِّ إمالة عن استقامة، فقالوا: ألحدَ فلان في قوله، وألحدَ في دينه، ومنه المُلحِدُ، لأنَّه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمُلْه عن دين إلى دين، والمعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أَعْجَمِيٌّ غير بيّنٍ وَهذا القرآن لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ذو بيان وفصاحة ردّاً لقولهم وإبطالاً لطعنهم))[٣].

اختصر الخطاب الوارد في الآية القصة عِبْرَ العلامة اللغوية (بشرٌ)، ((وهذا الإجمال أو الاختصار الدلالي هو الجانب الحاسم جداً في العملية التأويلية على هذا المستوى من التحليل))[٤]، وعليه فالتداولية تدرس اللُّغة من وجهة نظرٍ وظيفية، فتُفسَّر أوجه التراكيب اللُّغوية بالإشارة إلى عوامل غير لغوية[٥]، فتُمكِّنُنا من تبليغ

(١) ينظر: المنطق والمحادثة (مقالة) : اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢/ ٦٣٣.
(٢) ينظر : السيمياء والتأويل : روبرت شولز : ١٥٣ .
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري :٦٣٥/٢.
(٤) السيمياء والتأويل : ١٥٣.
(٥) ينظر: المقاربة التدولية: ١٦ .

المعاني أكثر مِمَّا تدلُّ بقول من الأقوال[١]، وبناءً عليه عُلم أنَّ الغرض التداولي هنا هو التأثير والإقناع.

وخلاصة الحديث في هذا المبحث إنَّ الاستلزام الحواري المُعمَّم المُتولِّدُ من دلالات التنكير التي نصَّ عليها (غرايس) يكمُنُ في أبعادٍ عِدَّةٍ :

أوَّلُها: إنَّ الحوار فيه قائمٌ على الاستدلال.

ثانيها: إبلاغُ المتكلِّمِ المخاطَبَ الغرض المقصود في التفاعل التواصلي هو غرض تداولي.

ثالثها: إنَّ الغرض التداولي في الحوار القرآني في هذا الاستلزام يتعيَّنُ بحسب الاستراتيجية التي جاء عليها النص الحواري على وفق مطابقته للمعاني الثلاثة التي نصَّها (غرايس)، أمَّا (المعنى الأول) فوجدْنا فيه نواياً مضمرةً، إمَّا تعجبًا، وإمَّا مساعدةً، كحوار الله تعالى مع الرسول الأعظم محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم).وأمَّا (المعنى الثاني) فيكون إمَّا إعلامًا وفيه أيضاً نواياً مضمرةً، وإمَّا إقناعًا وتأثيرًا ، وأمَّا(المعنى الثالث) فقد يأتي للإساءة، كحوار بعض كبار قريش مع بعضهم الآخر متجاهلين معرفة النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) متهمين إياه بالسحر، وقد يأتي للإيهام أيضاً، أو للتعظيم، كحوار الله تعالى مع رسوله الأعظم محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم).

(١) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٢٢

المبحث الثاني

الاستلزام الحواريّ المُعمَّم(السلّمي)

المُتولِّد بوساطة (الأسوار اللغوية)

إنَّ الاستلزام الحواري المُعمَّم يدخل ضمن التضمُّنات التّدرّجية التي يتمُّ إيصال بعض المعلومات فيها دوماً عن طريق اختيار كلمة تعبّر عن قيمة واحدة من بين تدرّج قِيَمي، وتحدِثُ بوساطة ألفاظٍ متعارفٍ عليها، فإذا غيَّرنا تلك الألفاظ يزول الاستلزام نهائياً وهذا النوع من الاستلزام لصيقٌ بالألفاظ؛ لأنَّه من مستتبعات التراكيب، وهو بهذا يخالف شرطاً أو صفةً من صفات الاستلزام وهي عدم إمكانية الفصل بتغيير الألفاظ(١).

وتجدر بنا الإشارة إلى أنَّ هذا الاستلزام يجعلنا نبحث عمَّا لم يقلْهُ المتكلم، أو البحث عن غير المنطوق في الخطاب(٢)، وهذا ما يُعرَفُ بالاستلزام السُلّمي إذ يدخل ضمن الاستلزام الحواري المُعمَّم، ويحدثُ بوساطة اختيار كلمة تعبّرُ عن قيمة واحدة من بين تدرُّجٍ قِيَمي، وذلك باستعمال مصطلحات تنْتَظِمُ في تدرُّجٍ من (أكثرها قيمة) الى (أقلّها قيمة) نحو:(كلّ . أغلب . كثير . بعض . قليل) ، وأساس التضمين المُتَدَرِّج هنا هو أنَّه عند ثبوت أيَّة صيغة في التدرُّج يتمُّ تضمين نفي كلِّ الصيغ الأعلى في التدرُّج(٣).

ومعنى الأسوار أو التسوير – عند المناطقة – هو اللَّفظ الذي يدلُّ على معنى الشمول والكلية، بشرط أنْ يكون موجبًا، مثل (كل – أغلب– جميع – كثير– بعض

(١) ينظر: نظرية التلويح الحواري، هشام عبد الله الخليفة:٣٦-٣٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٦١.

(٣) ينظر: التداوليةعلم جديد اليوم: ٧٣.

– قليل ...الخ) وتُسمَّى هذه الكلمات أسوارًا؛ لأنَّها تُحدِّدُ كيف تُحتوى فئة الموضوع في فئة المحمول أو تُستَبعَدُ عنها[١].

ولْنقِفُ على بعض مجاميع هذا السُلَّم الحواري التدرجي:

أولاً :((قليل – بعض – كثير – أغلب – كلّ)) وذلك نحو قولنا : أكملتُ بعضاً من المقررات المطلوبة في مادة علم اللسانيات .

فقولنا:(بعض) استلزم أنَّني لم أُكمِلْها (كلَّها) ، بمعنى استلزم : (ليس كلاً)، فضلًا عن خلْقِهِ استلزامات أخرى كـ (ليس معظماً) [٢] .

ومنه في القرآن الكريم ما يأتي :

(أ) قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم : ﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة: ١٤٥).

لو تأمَّلنا في هذا الحوار لوجدنا أنَّ المولى في الخطاب القرآني عمد إلى استعمال استراتيجية يهيمن عليها أُسلوب الإقناع بدقة عالية تكمن في استعماله السُّور اللغوي (بَعْضَ و كل) ، وهنا استلزم نفيَ كلِّ القيم ذات الترتيب الأعلى في هذا السُلَّم الحواري ، بمعنى أنَّه :

- ما بعضهم بتابع قبلة الكثير منهم ولو جئتهم بأقلِّ آية.
- وما بعضهم تابع قبلة أغلبهم ولو جئتهم بمعظم الآيات.
- وما بعضهم تابع قبلة الكلِّ منهم ولو جئتهم بأغلب الآيات.

وما استعمال الخطاب القرآني (بَعْضَ) إلاَّ ((لأنَّ تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة، إنَّما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك

---

(١) ينظر: مدخل إلى المنطق: ٥٥.

(٢) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة : ٤١ .

أنَّك على الحق، وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ حسمٌ لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أنْ يكون صاحبُنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم))[١]؛ إذ لو استعمل(كلَّ) لرُبَّما لم يتقبلوه ولا انقطعت دائرة الحوار حينئذ، ولا انتفى تحقُّقَ القصدُ من الاستلزام .

أو رُبَّما أراد أنَّ اليهود لن تتَّبعَ قبلة النصارى ولا النصارى ستتَّبِع قبلة اليهود، وهذا إعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم[٢] . والمقصود من قوله: ما تبعوا قبلتك ((إظهار مكابرتهم تأييساً من إيمانهم، ومن قوله: وما أنت بتابع قبلتهم تنزيهُ النبي وتعريضٌ لهم باليأس من رجوع المؤمنين إلى استقبال بيت المقدس))[٣]، هذا إذا درسنا الخطاب على وفق نظرية (غرايس) في الاستلزام الحواري وحملنا الكلام على المعنى الضمني لا على المعنى الصريح[٤]. وفي الآية التالية: قال الباري تعالى محاورًا رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿**وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ**﴾ (سورة يونس: الآية ٤٦). في الخطاب القرآني الوارد في أمر تكذيب المشركين ليوم البعث والحساب، وعدم تصديقهم بقوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) نزلت هذه الآية، كأنّهُ تعالى قال: وإمَّا (نُرِيَنَّكَ) بعض الذي وعدناهم به من عذاب ولعذاب الآخرة أشد وأكبر، فعذابهم

(١) الكشاف:٢٠١/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية:٢٢١/١.

(٣) التحرير والتنوير:٣٦/٢.

(٤) ينظر: نظرية التلويح الحواري، هشام عبد الله الخليفة:١٩.

في الآخرة دائم غير منقطع، وفي كلا الحالتين مردُّهم إلى الله تعالى[١]، فاستعمال الخطاب الاستراتيجية التلميحية في (بَعْضُ) يستلزم أنَّه تعالى ألمح إلى تحقق العذاب الواقع بهم، وأنَّه :

- لن يُرِيه كثيراً منه.
- ولن يُريه أغلبه.
- ولن يُريه كله.

بل كان مِمَّا أراه لرسوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بعضه، وفي هذا الرمز التداولي غاية تداولية تواصلية نفسية الغرض منها هو: زرع الوازع الديني في النفوس غير المؤمنة من خلال ترهيبهم عبر الثيمة التواصلية (بعض)، ذلك أنَّ العذاب الذي سيحلُّ بهم فيما إذا استحقوه، وفي هذا أيضاً تسلية لرسوله الأعظم وشدُّ أزره؛ بسبب ما لاقاهُ من المعاناة في إقناعهم وإبلاغهم مضامين رسالته، وإيحاءً له بأنَّ النصر متحقِّقٌ له، وهذا يتطابق تماماً مع اختيار (غرايس) للدينامية الفلسفية في دراسة اللُّغة الطبيعية ذاهباً إلى أنَّ الخطاب الاعتيادي هو خطاب واضح يكشف عن مميزات تواصلية تجعل اللُّغة غالباً مُبطَّنةً، مِمَّا يدعم أهمية السياق في سد الفجوة بين الإحالة الحرفية للمنطوق وبين ما يكتشفه المتلقي من قصد الخطاب[٢]. أمَّا في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ*نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ*بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ* وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ*أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ*وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ*فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾(الشعراء: ١٩٢_١٩٩).

---

(١) ينظر: الكشاف: ١ / ٤٨١.

(٢) ينظر : المقاربة التداولية للإحالة، يوسف السيساوي (بحث)، التداوليات علم استعمال اللغة: ٤٥٧.

لو تأمَّلْنا هذا الخطاب القرآني نجدُ أنَّه حكى عن جزء من المصاعب التي واجهها الرسول الأعظم محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لتبليغ رسالته، وهي طعن مشركي قريش في القرآن الكريم بأنَّه ليس من عند الله تعالى، أو أنَّه أساطير الأولين، أو أنَّه افتراء من الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ، وقد أظهر سبحانه وتعالى بهتانهم في هذه الآية مخففاً عن النبي بأنَّ مطاعن المشركين لأنَّ النبي عربي ولو جاء بلسان أعجمي لردوه على الرغم من أنَّه خارق للعادة، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ المشركين لا يبحثون عن الحق، وإنَّما يحاولون تصنُّعَ الأعذار لتكذيبهم من أجل الاصرار على الجحود[١]، وفي لفت نظر الله تعالى الأذهان إلى وضع قيد (بَعْضُ) إنَّما يستلزم تضمين نفيٍ كلِّ الصيغ الأعلى منه في التدرُّج ، بمعنى:

- ليس أكثرهم.
- ليس أغلبهم.
- وليس كلهم.

وكأنَّ الله تعالى أراد - والله أعلم - من استعمال الرمز التداولي (بَعْضَ) المؤمنين به فقط من الأعجميين؛ لأنَّ التنزيل أو الوحي لا يكون إلاَّ لِمَن آمن به ورُفعت منزلته عند الله تعالى، ((وفي لفظ (بَعْضُ)... إشارة إلى كون ذلك المفروض تنزيله عليه واحداً من عرض تلك الطائفة كائناً من كان))[٢]. أمَّا في الخطاب التالي الذي يحاور فيه المولى المشركين فيقول تعالى:﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ**﴾ (الحاقة: ٤٤)، نجد أنَّ لغة الخطاب القرآني الوارد في الآية والتي عمد الله إلى استعمالها مع المشركين المشكِّين بالقرآن الكريم هنا إنَّما هي إيحاء وكناية عن شدة عقوبة من يتقوَّل على الله الأقاويل، والمقصود من الخطاب أنَّه لو فُرض وتقوَّل

(١) ينظر: التحرير و التنوير ١٩ / ١٩٣.
(٢) روح المعاني، الألوسي ١٩ / ١٥٢.

الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) على الله ما لا يقوله ـ وحاشاه ذلك ـ لأخذناه باليمين [١]، ولمَّا كان هذا غير واقع بقرينة (لو) التي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط فلابُدَّ من أنَّه صادق، ومحصوله انتفاء الافتراء عن الرسول محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ؛ لأنَّه معصوم ومنزَّهٌ عن ذلك، ومِمَّا لُوحِظَ في استعماله تعالى لفظ (بَعْضَ) يستلزم عموماً:

ـ عدم تقوَّل الكثير.

ـ عدم تقوَّل الأغلب.

ـ عدم تقوَّل الكل. وهذه إشارة من الله تعالى إلى أنَّنا نفعل هذا بمَنْ تقوَّل علينا وافترى بعض الأقاويل فكيف بمَن افترى علينا أقوالاً كثيرة، إنَّه عذاب فوق عذاب فـ((المشهد المتحرك الذي ورد فيه هذا التقرير شيء آخر، يُلقي ظلالاً بعيدة وراء المعنى التقريري، ضلالاً فيها رهبة وفيها هول، كما أنَّ فيها حركةً وفيها حياةً، ووراءها إيحاءات وإيقاعات! فيها حركةُ الأخذ باليمين وقطع الوتين، وهي حركة عنيفة هائلة مروعة حية في الوقت ذاته، ووراءها إيحاءات بقدرة الله العظيمة وعجز المخلوق البشري أمامه وضعفه))[٢]، ومنهُ عُلِمَ أهمية أو أثر الوظيفة التداولية لهذا السور اللُّغوي أو السُلَّم الدرَّجي (بَعْضَ) في إبراز تلك الإيحاءات والإيماءات في ملامح هذا الحوار أو الخطاب، فضلًا عن أنَّ السياق التخاطبي له دور كبير في((دراسة العلاقة بين الرموز والعلامات والمستعملين لها))[٣] ، بمعنى أنّ فهم قصد المتكلم له علاقة باستعمال اللغة.

أمَّا في الخطاب القرآني التالي فيخاطب الله رسوله الكريم قائلا: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ**

(١) ينظر: المصدر نفسه ٢٩ / ٧١.

(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣٦٨٩ .

(٣) النص والسياق : فاين دايك : ٢١٥.

لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنعام: ٢٥). استعمل الخطاب القرآني (كلّ) عندما أراد أنْ يُبيّن للرسول الكريم حال المشركين الذين لا يؤمنون بالله؛ لأنَهم لا يفقهون كلامه فكانوا :

- لا يؤمنون بالكثير من الآيات.
- لا يؤمنون بمعظمها.
- لا يؤمنون ببعضها .
- لا يؤمنون بالقليل منها.

وهنا لابُدَّ من الالتفات إلى أنَّه لا يجوز القول: إنَّ المشركين آمنوا ببعض الآيات لأنَّ ((استعمال الأدنى يستلزم نفي الأعلى منه درجة ولا عكس))[١]، بمعنى: استعمال الأعلى لا يستلزم نفي الأدنى، وإنَّما يثبُتُ ذلك، فإذا قلنا: إنَّهم لم يؤمنوا بها كلِّها، يستلزم أنَّهم لم يؤمنوا ببعضها، ولا يستلزم أنَّهم آمنوا ببعضها، وهذا بيَّناه في (السور اللغوي): (بعض)، ولنرجع الى النص المبارك فنقول: إنَّه لو اقتضى هذا المعنى، أي: أمنوا ببعض الآيات ما احتاجوا إلى جدال النبي وقالوا إنَّها أساطير الأولين، فلرحمة الله بنبيه الكريم لكي لا يحزن لعدم إيمانهم ويشقى في جدالهم أبلغه الله بأنَّ سبب عدم تصديقهم

أنَّه جعل على قلوبهم أكنَّة أنْ يفقهوه[٢].

وتكشف سيرورة السياق عن أنَّ أثر استعمال السور أو الرمز التداولي (كُلَّ) في لغة هذا الحوار لأجل تحقُّقِ غرضٍ عاطفيٍّ واجتماعيٍّ.

وفي قوله تعالى محاوراً نبيَّه الكريم:**﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا**

(١) استراتيجيات الخطاب : ٤٣٦، وينظر: القاموس الموسوعي للتداولية : ٢٠٦ .

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٣/٢.

تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾(آل عمران: ٧).

لو تأمَّلْنا في هذا الخطاب المُوجَّه من الله تعالى لنجد أنَّ استعمال الرمز التداولي (كُلَّ) يعني أنَّ الراسخين في العلم أمنوا بآيات الله كلِّها، وذلك يستلزم أنَّهم:

ـ أمنوا بآيات الله أغلبها، كثيرها، بعضها ولا عكس كما بيَّناه. فلو اكتفى تعالى بقوله: (وما يعلم تأويله) لأستوجب أنَّ تأويل القرآن لا يعلمه أحد والذين اختلفوا في الظاهر والمتشابه يتَّبِعونَ ما يوافق أهواءهم إلاَّ أنَّ الراسخين في العلم يعلمون أنَّ الآيات كلَّها من الله [١]. ومِمَّا تقدَّم نخلص إلى أنَّ كُنْهَ الكلام وهو أصلُ كلِّ تواصلٍ قائم في اللُّغة ليس استعمالَ ألفاظٍ معينةٍ بقدر ما هو استثمار العلاقة مع الآخر، فلا كلام دون أطراف التواصل، ولا وجود لمتكلم من دون الوظيفة التفاعلية للتواصل وهي التأثير في الآخر، ولا مُستمِع من غير أنْ يتأثَّر بالآخر [٢].

وفي قوله تعالى مخاطباً نبيَّهُ الكريم:**﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾**(الإسراء: ٧٤)، لو تأمَّلْنا في خطاب الله تعالى لرسوله الأعظم (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وهو في معرض موقف آخر من مواقف مواجهة المشركين باستعمالهم براعةً في الأسلوب حتَّى يقولُ قولاً حسناً في آلهتهم ويتصالحوا معه بأنْ يقبلَ بعض ما عرضوه إذا وافقهم في بعض المسائل . لنجد أنَّ الله تعالى قد بيَّن له (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أنَّه لولا رحمته تعالى وتبيينه للصواب والحق لرسوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لاحتُمِلَ أنْ يركُنَ – حاشاه من ذلك – إليهم، فقوله تعالى (كدت) يُشيرُ إلى قرب احتمال الحدث، وتذهب المعاجم اللُّغوية إلى أنَّ (كاد) تفصح

(١) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني:١/٣٦٢_٣٦٣.

(٢) ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢١٥ .

عن قرب الفعل ووقوعه، وهو المعنى المشهور لها[١]، وعلى هذا فإنَّ (كاد) يقارب الشيء سواء أفعل أم لم يُفعل[٢]، ولفعل المقاربة هذا استعمالات وأحكام متنوعة شغلت بال النحاة طويلاً، لكنَّ البحث يميلُ إلى أنَّ قصدية المُرسِلِ وسياق خطابه هما المُحدِّدُ الأول والأخير للمعنى الذي يحمله هذا الفعل، ويأتي الفعل (كاد) مسانداً للسور اللُّغوي الذي استلزم عدم ركون النبي إليهم، سواء أكان منفياً أو مثبتاً فـ ((نفيه نفي لمعناه وهو مقاربة الفعل أيضاً، نحو ما كاد زيد يقوم، فهو نفيٌ للقرب من الفعل ، وهو أبلغ من نفي الفعل نفسه فإنَّ قولك ما قربت من الضرب آكد من نفي الضرب من قولك: ما ضربت))[٣]، بمعنى أنَّ إثباتَها نفيٌ، ونفيُها إثباتٌ، فإذا قلت: كاد زيد يقوم، أثبتَ قُربَ القيام لا إثبات القيام نفسه، وعندما تقولُ: ما كاد زيد يقوم، نفيت هنا قُربَ القيام[٤]، لذا فإنَّ هذا الاحتمال على ضعفه لم يحدُث، بدليل استعمال الله تعالى الرمز التداولي (قَلِيلاً)؛ إذ استلزمت نفي القيم الأعلى في السلّم، بمعنى أنَّه ((صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)):

. لم يركُنْ إليهم كثيراً.

. لم يركُنْ إليهم في الأغلب.

. لم يركُنْ إليهم كلياً.

يدُلُّ عليه وجود الأدوات الآتية :

أولاً: (لولا) الامتناعية (حرف امتناع لوجود)، وهي تقتضي امتناع الركون لتثبيته تعالى له.

ثانياً: دخول (قد) في حيِّز الامتناع فأصبح تحقيقُها معدوماً .

---

(١) ينظر: لسان العرب : مادة (ك و د).

(٢) ينظر: لسان العرب : مادة (ك و د).

(٣) شرح الرضي على الكافية : ٥ / ٢٢٩.

(٤) ينظر : شرح المفصل في صنعة الإعراب : ٣ / ٣٠٨.

ثالثاً: فعل المقاربة(كدت) المقتضي أنَّه لم يركُنْ بعد.

رابعاً: التحقير المستفاد من (شيئاً).

خامساً: التقليل المستفاد من (قَلِيلاً).

بمعنى: أنَّك لن تركن إليهم ولو قليلاً لأننا ثبتناك[1]. وتأتي فائدة السور اللُّغوي(قَلِيلاً) بعد كلِّ الأدوات التي أثبتت عدم وقوع الركون وعدم مقاربة ذكره لـ((لتوكيد معنى التقليل))[2]، فكأنَّ المعنى الحرفي للآية الإشارة إلى تثبيت الله للرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) مع احتمال وقوع الركون القليل، والمعنى المستلزم مع الأدوات الموجودة كلِّها: عدمُ ميْلِ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لتثبيت الله له، والوظيفة التداولية للخطاب هي وظيفة إعلامية بما يحمله الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) من قوة إيمان، وتنزيهه من التأثُّرِ بما يقوله مشركو قريش، فلو اكتفى تعالى بما يلزمه (شيئاً) من التقليل ما تحقَّقَ ذلك الغرض التداولي. أمَّا في قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾(النساء: ٧٧).

فلو تأمَّلْنا في الخطاب القرآني الوارد في الآية وهو خطاب مُوجَّه من الله تعالى إلى الرسول الكريم محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وهو يُخبِرُهُ عن قومٍ يخشون الناس كخشية الله، وقد قِيلَ:((هُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أُمِرُوا بِتَرْكِ الْقِتَالِ فِي مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ تَسَرَّعُوا إِلَيْهِ. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ بِالْمَدِينَةِ تَثَبَّطُوا عَنِ الْقِتَالِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِي الدِّينِ، بَلْ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ، وَفَرَقًا مِنْ هَوْلِ الْقَتْلِ وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ

(١) ينظر: التحرير والتنوير:١٥ / ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٥ / ١٧٥.

وَقِيلَ: فِي الْمُنَافِقِينَ، أَسْلَمُوا قَبْلَ فَرْضِ الْقِتَالِ، فَلَمَّا فُرِضَ كَرِهُوهُ، وَهَذَا أَشْبَهُ بِالسِّيَاقِ لِقَوْلِهِ: وَقالُوا رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ لَوْلا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ)) [1]، لنجد أنَّ الله تعالى قد بيَّن له (صلَّى الله عليه وسلَّم) أنْ يخبرهم بأنَّ متاعَ الدنيا قليل وقد جاء السور اللُّغوي (قَلِيل)، مِمَّا استلزم نفي القيم الأعلى، بمعنى أنَّ متاع الدنيا:

- لم يكن كثيراً.
- لم يكن في الأغلب.
- لم يكن كلياً.

إنَّ دخول همزة الاستفهام على لم مع المضارع في قوله تعالى (ألم تر) قلبت النفي في لم إلى الإثبات، فكأنَّ الهمزة أفادت نفيَ النفي الذي في (لم) ونفيُ النفي إثبات؛ أي أنَّ الهمزة مع أداة النفي أثبتت وقرَّرت الجواب[2]، بأنَّ الرسول رأى أولئك الذين تهرَّبوا من القتال، فكأنَّ الغرض التداولي من السور اللُّغوي في هذا المقام هو دعوة للمقارنة بين متاع الدنيا والآخرة، وطاعة المولى فيما يقول وخشيته في تنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾(الحجرات: ٧).

لو تأمَّلنا الخطاب القرآني الوارد في الآية الكريمة لوجدنا الرمز التداولي (كثير) قد ورد ليؤكِّدَ الوظيفة الإبلاغية للخطاب، فهو يستلزم أنَّه لم يطعهم في قليل من الأمر، ولا في بعض الأمر، ولا في أغلبه، ولو حرف امتناع لامتناع، لذا استلزم أنَّه ((لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِمَّا تُخْبِرُونَهُ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْبَاطِلَةِ، وَتُشِيرُونَ بِهِ عَلَيْهِ

(١) فتح القدير، الشوكاني :٥٦٤/١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام :٢٥.

مِنَ الْآرَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ بِصَوَابٍ لَوَقَعْتُمْ فِي الْعَنَتِ وَهُوَ التَّعَبُ، وَالْجَهْدُ، وَالْإِثْمُ، وَالْهَلَاكُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُطِيعُكُمْ فِي غَالِبِ مَا تُرِيدُونَ قَبْلَ وُضُوحِ وَجْهِهِ لَهُ، وَلَا يُسَارِعُ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا يَبْلُغُهُ قَبْلَ النَّظَرِ)) [١]، وعليه إذا درسنا هذا النصَّ في مضمار الاستلزام المُعمَّم لـ(غرايس) نجد أنَّ اختيار نقطة مقصودة معينة في الخطاب في بحر كلمات النص في غاية الأهمية؛ لأنَّ ((هذه النقطة ستؤثِّر في فهم المستمع لكلِّ ما يليها في الخطاب، حيثُ إنَّها ستمثِّلُ السياق النصِّي الأول لكلِّ ما يلحق)) [٢]. وفي قوله تعالى:﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾(الإسراء: ٢٩)، تُمثِّل العلامة التداولية في السُور اللُّغوي (كل) جمال دينامية لغة هذا الخطاب في هيمنة مبدأ (القصدية) على اختيارها، للتعبير عن القصد المُراد بيانه هنا، فقد جاء هذا النهي لـ((يتناول كل مكلف سواء كان الخطاب للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم تعرضاً لأمته وتعليماً لهم، أو الخطاب لكلِّ من يصلح له من المكلفين، والمُراد النهي للإنسان بأنْ يمسك إمساكاً يصير به مُضيِّقاً على نفسه وعلى أهله، ولا يُوَسِّع في الإنفاق توسيعاً لا حاجة إليه)) [٣].

فبيَّنَت أنَّ الحكمة من العطاء أنْ يكون المعطي وسطاً، فلا يهدر أمواله حتَّى لا يبقي شيئاً ولا يكن بخيلاً، وجاء السور اللُّغوي (كل) ليستلزم أنْ لا تبسط يدك كلَّ البسط، ولا تبسط يدك أغلب البسط، ولا تبسط يدك كثيراً.

إنَّ فهم وتأويل وتفسير الخطاب القرآني لا يتمُّ بمعزلٍ عن الخلفيات الثقافية للوعي العربي[٤]، لذا خرجت الثيمة التداولية عن الإطار الذي وُضِعَت له من أجل

---

(١) فتح القدير:٥/٧١.

(٢) تحليل الخطاب: براون ويول : ١٤٥ .

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن:٧/٨٣٢.

(٤) ينظر: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، عبد الرحمن أحمد:٥٣.

حكمة إلهية إذ استلزمت أنْ يبسطها بعض البسط، فجاءت (كل) في هذا السياق للدلالة على الكثرة لا على الشمول، وما أكَّد المعنى هو النهي عن البخل في قوله تعالى(ولا تجعل يدك مغلولة)، فجاء الخطاب لِمنْعِ الشحيح وإسراف المبذِّر زجراً لهما[١].

فهو((يُعبِّرُ عن حقيقة جوهرية، متجاوزة للحضور الحسي))[٢]، بغية توضيح المعنى أو القصد من الخطاب.

وفي قوله تعالى:﴿**فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾(هود: ١٢).

لو أمْعنَّا النظر في الخطاب القرآني لوجدنا أنَّ سيرورة السياق تفرض عتاب الرسول الكريم (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) فـ((لَعَلَّكَ لِعِظَمِ مَا تَرَاهُ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ والتكذيب، واقتراح الآيات التي يقترحونها عَلَى حَسَبِ هَوَاهُمْ وَتَعَنُّتِهِمْ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَمَرَكَ بِتَبْلِيغِهِ، مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ سَمَاعُهُ أَوْ يَسْتَشِقُّونَ الْعَمَلَ بِهِ، كَسَبِّ آلِهَتِهِمْ، وَأَمْرِهِمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ. قِيلَ: وَهَذَا الْكَلَامُ خَارِجٌ مَخْرَجَ الِاسْتِفْهَامِ، أَيْ: هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ؟ وَقِيلَ: هُوَ فِي مَعْنَى النَّفْيِ مَعَ الِاسْتِبْعَادِ أَيْ: لَا يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ، بَلْ تُبَلِّغُهُمْ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ الله عليك، أحبوا ذلك أم كرهوه، شاؤوا أَمْ أَبَوْ))[٣]، واستعمال السور اللُّغوي (بعض) يستلزم أنَّ الرسول الكريم لن يترك كلَّ ما أوحي إليه، ولن يترك أغلبه، ولن يترك معظمه.

---

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي:٨/٦٣.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٨ / ١٩٧.

(٣) فتح القدير للشوكاني:٢/٥٥١.

وقيل إنَّ الخطاب ((فيه تعريض بالمشركين برد اعتقادهم أنَّ الرسول يأتي بما يُسألُ عنه من الخوارق فإذا لم يأتهم به جعلوا ذلك سنداً لتكذيبهم إياه رداً حاصلاً من مستتبعات الخطاب)) [١]، وللوصول إلى التجدد والديمومة بوصفهما محركات زمنية داخل الخطاب يجعلان المتلقي ينتبه إلى استعمال المولى الفعل الناسخ (لعل)، وعليه نجد أنَّ المعاني الواردة في الخطاب لا تنتقل إلى القارئ وإنَّما يولِّدُها القارئ نفسه عِبْرَ ربطه بين المعلومات اللُّغوية[٢].

وفي قوله تعالى: **﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُون ﴾**(المائدة: ٤٩).

لو أمْعنَّا النظر في الخطاب القرآني لوجدنا أنَّ السور اللُّغوي (بعض) قد تكرر مرتين فضلاً عن الثيمة التداولية(كثير) والتي تُحذِّرُ الرسول من أنْ يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه ليس كل ولا أغلب، وأنَّهُ لرحمته سيعاقبهم ببعض ذنوبهم، ليس كلُّها ولا معظمها ولا أغلبها، إلاَّ أنَّ كثيراً من الناس عاصون، وجاء السور اللُّغوي (كثير) في هذا السياق للدلالة على الكثرة لا العموم فلا يعني هذا أنَّ كلَّ الناس فاسقون بل أنَّ معظمهم وأغلبهم، ((واستدلَّ العلماء بهذه الآية على أنَّ الخطأ والنسيان جائز على الرُسُلِ ...فَإِنْ تَوَلَّوْا أي أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله وأرادوا غيره فَاعْلَمْ إنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أي فاعلم أنَّ أعراضهم من أجل أنَّ الله يريدُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ أي يُعجِّلُ لهم العقوبة في الدنيا ...، فالمُراد ببعض ذنوبهم ذنب تولِّيهم عن حكم الله تعالى وإنَّما عبَّرَ عنه بذلك تنبيهاً على أنَّ لهم ذنوباً كثيرةً هذا مع عِظَمِه واحدٌ من جملتها وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ أي متمردون في

(١) التحرير و التنوير:١٨/١٢.

(٢) ينظر: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. أحمد عبد الفتاح يوسف:٢٧.

الكفر))[١]، والغرض التداولي الوارد في الخطاب هو شمول الوظيفة الإبلاغية لجميع المؤمنين الذين يحاولُ المشركين استمالتَهم وردَّهم عمَّا يعبدون، ((وهنا يبرز الدور الإيجابي للدرس التداولي في بُعدِهِ الثقافي في الكشف عن تصورات الإنسان الخاصَّة لنفسه بوصفِها نسقاً فكرياً تتحكَّمُ فيه الثقافة دون وعيٍ منه)) [٢].

ومن هنا يُمكِنُ القول: إنَّ الأهداف التي وضعها (غرايس) في الحوار تكمُنُ في بُعدَينِ[٣] :

١ – تبادلُ أقصى ما يُمكِنُ من المعلومات.

٢ – التأثُّرُ بأفعال الآخرين وأقوالهم وتوجيهها.

مِمَّا تقدَّم يتبيَّنُ لنا أنَّ الاستلزام السُلَّمي معتمدٌ أساساً على استعدادات المتلقي النفسية والذهنية والعرفية والاجتماعية والعلمية .... فهو بمثابة المراقب الضمني وهذا مِمَّا يجعل المُرسِلُ حريصاً على انتقاء العبارات والاستراتيجية المناسبة للخطاب الذي يقدِّمُه فضلًا عن الاختلافات في استعمال العبارة أو اللَّفظ من لغة إلى أخرى، والحالُ نفسه للمتلقي عند اختياره للعبارة الملائمة التي يقدمها للمخاطب، فالاكتفاء بالمعنى المعجمي المباشر والصريح في فهم الرسالة قد يؤدي إلى القصور في التأويل والفهم.

ومِمَّا سبق يُعلَمُ أنَّ الاستلزام الحواري المُعمَّم السُلَّمي المُتولِّدُ بوساطة الأسوار اللُّغوية(كلّ ـ أغلب ـ معظم ـ كثيراً ـ بعض)، وكذا الصفات المتضادَّة المستلزمة تدرّجاً سلّمياً لا يخلو من غرض تداولي: إقناعي، إبلاغي ترهيبي، عاطفي، اجتماعي ،تهذيبي، إعلامي، تأنيبي ..... وخلاصةُ القول: إنَّ ملخَّصَ نظرية (غرايس) في

---

(١) روح البيان:٢/٤٠١.

(٢) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. أحمد عبد الفتاح يوسف:٥٩.

(٣) ينظر : المنطق والمحادثة (مقالة) : إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٢٠ . ٦٢١.

الاستلزام الحواري المُعمَّم يَكمُنُ في أنَّ المعنى اللُّغوي عنده: هو ((الاصطلاح بالإضافة الى القصد))[١]، أُريدَ: القصد الضمني، فضلًا عن إنَّنا لو تأمَّلْنا في خصائص التفاعل في المقاربة التواصلية لهذا الحوار لنجد أنَّه تميز بـ (خاصية التنازع) بين طرفي الحوار ومردَّ هذه الخاصية الى أنَّ طرفي الحوار يتمتعان بنفس الحق في أداء الرأي والرأي المضاد، فالتواصل هنا لا يخلو من نزاع؛ لأنَّه يقوم على تبادل المصالح بين أطرافه وكلُّ طرف يُؤمن بأحقيَّتِه في انتزاع تلك المصالح، ولابُدَّ فيه من انصياع من أحدِ الطرفين إلى الآخر[٢]، وكأنَّه أراد أنَّ التواصل في الحوار هو ساحة تنافس لإقناع الطرف الأول الطرف الآخر للانصياع له، بتلك العبارات المتداولة المتعارف عليها بين الطرفين، ومنه عُلِمَ أنَّ سِرَّ استعمال السور اللُّغوي (بعض) في الخطاب غاية لسانية تهدف إلى انصياع المتلقي، والغرض التداولي هنا غرض نفسي يتبعه غرض إقناعي إبلاغي للرسالة.

(١) نظرية المعنى في فلسفة غرايس : د. صلاح اسماعيل : ٧٣ .

(٢) يُنظر: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي : ١٦ . ١٩ .

الفصل الثالث

الاستلزام الحواري المخصص في الخطاب القرآني

توطئة :

المبحث الأول: الاستلزام الحواري المخصص البسيط

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري المخصص المركب

توطئة :

ويُعرف بالاستلزام الخارق وهو النوع الثاني من أنواع الاستلزام الحواري، ويتمثَّل بانتهاك المتكلمين لقاعدة من قواعد (غرايس) للخطاب، مع استمرارهم باحترام المبدأ العام لهذه القواعد ويُقسَّم على نوعين: استلزام مخصص بسيط، واستلزام مخصص مركب(١).

فإذا حصل ذلك فإنَّ الإفادة في الخطاب تنتقل من ظاهرها الحقيقي المباشر إلى وجه غير مباشر(٢)، ويُؤكِّدُ (غرايس) أنَّ القواعد الخطابية المتفرِّعة من مبدأ التعاون غالباً ما تكون عرضةً للانتهاك من المتخاطبين؛ لأنَّ هذه القواعد لا تطغى إلى درجة نكون فيها عاجزين عن التحايل والتذبذب، واعتماد مختلف أنواع الاستراتيجيات اللغوية، إذ يُمكن للمرء مثلاً أنْ يبدو صريحًا من دون أنْ يوصف بالأخرق، ومتواضعًا من دون أنْ يظهر بمظهر المتصنِّع، ومؤدبًا من دون أنْ يبدو عديم الاستقامة(٣).

إنَّ خرق المتكلِّم لإحدى القواعد مع احترام مبدأ التعاون يتطلَّب من المُتلقي على الأقل تقدير مبدأ التعاون أولاً، ومن ثَمَّ التوصُّل عِبْرَ استدلالات متتابعة إلى المعنى المُستَلزَم الذي قصد المتكلِّم إبلاغه إيَّاه بهدف توليد الصورة البيانية المرجوَّة من هذا الاستخفاف(٤).

---

(١) ينظر: المنطق والمحادثة : ٦٢٣، والاستلزام الحواري في التداول: ١١٤، واللسان والميزان:٢٣٩، والمضمر:٣٤٨.

(٢) ينظر: المضمر:٣٤٨.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٠٤.

(٤) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي إنموذجاً، د. ليلى كادة:١٠٨.

المبحث الأول

الاستلزام الحواري المخصّص البسيط

وهذا النوع من الاستلزام ينتقل فيه المتلقي إلى المُستَلزَم من دون حاجة إلى الاستدلالات، وبتعبير آخر يُعرف الاستلزام فيه من خلال السياق؛ ولذا أسميناه بـ (البسيط)، وهو ما يحدث من خرق لقواعد (غرايس) وهي كالآتي:

أولاً: **خرق قاعدة الكم**:

تنصُّ هذه القاعدة على أنَّ عملية التحاور المفيدة يجب أنْ تؤدَّى بصورة كاملة، وأنْ يكون الحوار دالاً على المطلوب، وقد ينتهك المتكلِّم هذه القاعدة بهدف إيصال معنًى ما إلى المُخاطَب؛ فيلجأ المتلقي إلى اعتماد استدلالات متتابعة للتوصُّل إلى ذلك المعنى الذي أراد المتكلِّم إبلاغه إياه(١).

و انتهاك قاعدة الكم يجري بطريقتين:

الأولى: حين تكون إفادة المتكلِّم أقلَّ مِمَّا يحتاج إليه المُخاطَب لفهم المُراد.

والأخرى: حين تتعدَّى إفادة المتكلِّم القدر المطلوب للمُخاطَب لفهم المُراد(٢).

والقرآن الكريم بوصفه يُمثِّل طبقة خاصة من الكلام المُعجز توافرت فيه آليات تداولية متنوعة بهدف إيصال المعاني المتعدِّدَة؛ ولو لاحظْنا قول الله تعالى:﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾ (البقرة الآية: ١١٩)، لوجدنا أنَّ الخطاب مُوجَّه للرسول الكريم وأنَّه خطاب تسلية لكي لا يضيق صدر النبي بالمشركين، وهذا الحوار من طرف واحد ، يُطلق عليه (التواصل الأحادي الاتجاه)، بل المُرسِلُ يرسل أكثر مِمَّا يستقبل، وهذا حال المبلِّغ والقائد والرئيس(٣)،

---

(١) ينظر: الاقتضاء في التداول:٧١٧.

(٢) ينظر: اللسان والميزان:٢٣٨، والاستلزام الحواري في التداول: ١١٧.

(٣) ينظر : في التداولية المعاصرة والتواصل: أ. مولز. ك. زيلتمان . ك. أوريكيوني : ١٢ ـ ١٣.

ففي هذا النص المبارك حاور الله تعالى رسوله الكريم محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لكي لا يضيق صدره بالذين لا يؤمنون، ولكنْ لو تأمَّلنا لأول وهلة في بناء هذا الحوار لوجدنا عدم توافر المعلومات الكافية؛ فعدم سؤال النبي عن المشركين لم يسبقه ذكر عنادهم أو مجادلتهم إياه، وهذا بحسب قواعد (غرايس) خرق لقاعدة الكم؛ إذ لم يتمْ إعطاء المعلومات الكافية بحسب المعنى الظاهر، ولكنْ مع افتراض مبدأ التعاون والمعرفة المشتركة بين المخاطبين، التي منها: إنّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) يعلم يقينًا أنَّ الله أرسله بشيراً لمن آمن ، ونذيراً لمن كفر، غير سائل عنهم؛ لأنَّ عِلْمَ الله بكفرهم بعد إنذارهم يُغني عن سؤاله عنهم. وهذه الآية تسلية لرسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) فإنَّه كان يضيق صدره لتماديهم على ضلالهم[١]، يُؤيِّدُ ما تقدَّم ما قيل في نظرية (غرايس) ((أنَّه رمى إلى دراسة التفاعل في الخطاب ضمن مقومات الملاءمة بين مجموعة من المستلزمات اللُّغوية وخارج اللُّغوية التي يتقاسمها كلٌّ من المتكلم والمخاطب وكذا القدرات العقلية والاستدلالية التي يتوفران عليها))[٢]، ومثله قوله تعالى:﴿**يأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ (المدثر، الآيات: ١-٢)، فلو درسنا الخطاب وفق مبدأ التعاون لنجد أنَّه خرقٌ ـ أيضاً ـ لقاعدة الكم؛ إذ لم يذكر الجواب، وهذه الاستراتيجية التلميحية التي استعملها الله تعالى هنا استلزمت معنى باطناً وهو الـ ((إشارة إلى سرعة امتثاله صلى الله عليه وسلم))[٣]؛ ولذا عندما سُئِل (غرايس) عن غرابة مبادئه أجاب بأنَّ فائدة تلك القواعد تتمثَّلُ في قدرة طرفي الخطاب على استثمارها في الخطاب[٤]، أي: فطنة المتخاطبين وقدرتهم على استغلال هذا الخرق لإيصال المعلومات التي يقصدون إيصالها من

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، ٩٢/٢ ؛ البحر المحيط، ٥٣٧/١ ؛ التحرير والتنوير ، ٦٩١/١.
(٢) الحوار ومنهجية التفكير النقدي:١٢٨.
(٣) روح المعاني ١٩ : ١٠٢ .
(٤) ينظر: التداولية اليوم: ٥٦ .

دون التصريح عن ذلك القصد المخصوص لفظاً، ومنه يُعلَمُ أنَّ مبادئ (غرايس) في الخطاب قد تمثَّلت في الخطاب القرآني على أنَّها وجهاً من وجوه الإعجاز والانسجام النصي.

إنَّ الأمر المُوجَّه إلى الرسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) هو الإنذار، فيه خرق لقاعدة الكم من جهة عدم معرفة الجهة التي يُوجَّهُ إليها الإنذار فيستلزم أنَّ النبي يقوم بإنذار الأقربين إليه وهم أهل بيته وعشيرته، ومن ثُمَّ أهل مكة، وهو استلزام بسيط يُفهم من سياق الكلام ولا يحتاج إلى الكثير من التفصيل.

في قوله تعالى:﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[1]، لو تأمَّلنا هذا الخطاب القرآني المُوجَّه للرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لوجدنا الكتاب هنا القرآن، وأتى هنا بذكر المُنْزَل عليه، وهو قوله (عليك) ولم يأتِ بذكر المُنْزَل عليه التوراة، ولا المُنْزَل عليه الإنجيل تخصيصاً له وتشريفاً بالذكر، وجاء بذكر الخطاب لِمَا في الخطاب من المؤانسة، وأتى بلفظة على لِمَا فيها من الاستعلاء كأنَّ الكتاب تجلَّله وتغشَّاه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) [2]، وفي عدم ذكْرِهِ لِمَن أُنزِلَ عليه التوراة والإنجيل قد خرق قاعدة الكم الأولى؛ إذ لم يصرح تعالى بالمُنزَلِ عليهم، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون، وعِلْمِ الله تعالى بأنَّ النبي يفهم ذلك بقرينة كلامه السابق، استلزم منه أنْ يفهم أنَّ الله تعالى إنَّما حذف أسماء الرُسْل تشريفاً له؛ أي: استلزم أنْ يفهمَ بأنَّ الله خصَّهُ وحدَه بالتشريف؛ فالمعنى الحرفي هنا: ذكر القرآن، والمعنى الإنجازي: تشريف النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد الطبري: ١٩٥/٣ ؛ تفسير الرازي ١٥٤/٧.

في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1]، لو تأملنا الخطاب الموجه للنبي لوجدنا أنه مطابق وما قاله غرايس عن خرق قاعدة الكم فنرى ((الجواب المطابق لقوله يسألونك ماذا ينفقون أنْ يقول: قل النفقة التي هي خير، وإنَّما عدل عنه لحاجة السائل إلى البيان الذي يدلُّ عليه وعلى غيره، وذلك يحسُن من الحكماء إذا أرادوا تعليم غيرهم وتبصيرهم أنْ يضمّنوا الجواب مع الدلالة على المسؤول عنه والدلالة على ما يحتاج إليه السائل في ذلك المعنى مِمَّا أغفله أو حذف السؤال عنه لبعض الأسباب المُحسِّنة له))[2]، فهو يُبيّن هنا أنَّ الجواب عن سؤال النفقة سيكون تامًا ومطابقًا إنْ اقتُصر فيه على قوله تعالى: (قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ)[3]، فبيَّن ما ينفقونه وهو كلُّ خير[4]، ولكن حين تجاوز هذا القدر من الإجابة، وقدَّم معلومات إضافية في تِبْيان أوجه صرف النفقة استلزم ذلك من المُتلقي فهم الفائدة من هذه الإضافة، وهي معرفة طرق أداء النفقة.

- يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[5]، لو تأمَّلنا الخطاب المُوجَّه للنبي(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ولكل متلقٍ لوجدنا أنَّ الله تعالى استعمل الاستراتيجية الإبلاغية لإعلان جزاء كلِّ من يقف ضد الله ورسوله وقيل هذا حكم كل

(١) سورة البقرة:٢١٥.
(٢) التبيان:٢/١٧١.
(٣) سورة البقرة:٢١٥.
(٤) ينظر: الكشَّاف:١/٤٢٢.
(٥) سورة المائدة:٣٣.

قاطع طريق كافراً كان أو مسلماً. ومعناه أَنْ يُقَتَّلُوا من غير صلب، إنْ أفردوا القتل أَوْ يُصَلَّبُوا مع القتل إنْ جمعوا بين القتل والأخذ(١)، والمعلومات الواردة في الخطاب أقل من القدر الكافي فهي تخالف قاعدة الكم إذ لم يُبيِّن الله معنى المحاربة في الخطاب القرآني وتميز بناء هذا الحوار بطابع الشمولية فهو بهذا يشمل كل المشركين.

ثانياً: **خرق قاعدة الوضوح**:

وتتفرَّع من هذه القاعدة أربع مقولات أبرزها مقولة الاحتراز من اللبس، ومقولة ترتيب الكلام(٢).

قال الباري تعالى :﴿وَاذْكُرْ أَخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ..... وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٣) .

بعد أن أمر الله تعالى الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) (بسرْدِه قصة قوم (هود) (عليه السلام) لمشركي مكة: **(وَاذْكُرْ أَخا عادٍ ....)** انتقل إلى محاورة الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) مباشرة وأمره أيضاً بأنْ يسرد لهم كيف أنَّ الله تعالى وجَّه نفراً أو جماعة من الجن إليه ليستمعوا إلى القرآن الكريم وليبلغوا بذلك قومهم ولينذروهم، وفي هذا الحوار وقع خرق لقاعدة الوضوح؛ وذلك لأنَّ عطف قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ...**﴾، على قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ أَخا عادٍ ....**﴾ فيه غموض وعدم الوضوح، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٢٧/١.
(٢) ينظر: المنطق والمحادثة:٦٢٧٢/.
(٣) سورة الأحقاف :٢١ ـ ٣٠ .

والكفاءة التداولية لدى الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، بمعنى: علَّمَه بحال مشركي مكة استلزم منه أنْ يفهم (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أنَّ الله تعالى أراد منه ((توبيخاً لقريش وكفَّار العرب، حيث أنزل عليهم هذا الكتاب المُعْجِز، فكفروا به، وهم من أهل اللِّسان الذي أُنزِلَ به القرآن، ومن جنس الرسول الذي أُرسِلَ إليهم، وهؤلاء جن، وليسوا من جنسه، وقد أثَّر فيهم سماع القرآن وآمنوا به وبمن أُنزِلَ عليه، وعلموا أنَّه من عند الله، بخلاف قريش وأمثالها، فهم مصرُّون على الكفر به))[١] ، يُؤيِّدُه أنَّه تعالى عندما ذكر قوم هود (عليه السلام) عبَّرَ عنهم بالوصف دون اسم العلَم فقال: **(وَاذْكُرْ أَخا عادٍ)**؛ لأنَّ المُراد بالذكر هنا ذكر التمثيل والموعظة لقريش بأنَّهم أمثال عاد في الإعراض عن دعوة رسول من أمتهم، أُرِيدَ : من باب قولنا يا أخا العرب ونريد الشركة في النسب إلى القبيلة، فضلًا عن أنَّ وقوعها إثر قصة هود وقومه وإهلاك من أهلك من أهل القرى؛ لأنَّ أولئك كانوا ذوي شدة وقوة كما حكى عنهم في غير آية، والجِنُّ تُوصَفُ بذلك أيضاً[٢]، وهذا توافق في سِماتِ كلا الفريقين، فالمعنى الحرفي: (أذكر يا محمد قصة هود مع قومه وإرسال نفر من الجِنّ إليك ليسمعوا القرآن، ولينذروا جماعتهم)، والمعنى الضمني: توبيخ مشركي مكة، وهذا المعنى يتوافق تماماً وتشديد (غرايس) على نوايا القائل وفهم المخاطب لهذه النوايا من أجل تحقُّقِ التواصل اللُّغوي[٣]، فمجيء الوظيفة السيميائية للواو هنا على غير مقتضاها استلزم حَمْلِ المعنى على غير ظاهره مع دور العقل وقدرة الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) على الاستدلال .

ومنهُ يُعلم أهمية تفعيل خاصية المضمون والعلاقة في التفاعل التواصلي بوساطة المقاربة التواصلية؛ إذ يؤدِّي إلى ظهور خاصيات أخرى تظهر بحسب مناسبات

(١) البحر المحيط ١٠ / ٥٩.
(٢) ينظر : روح المعاني ٢٦ : ٣٧ .
(٣) ينظر: التداولية اليوم: ٥٣.

الحوار ولحظات إجرائه كالإجماع أو التنازع التي تتميز بها لحظات الحوار بحسب درجة التقارب أو التباعد بين أطرافه(١)، وهذا واضح وبيّن هنا في اتفاق الله تعالى ورسوله بخصوص مصير المشركين ، وكذلك بلوغ درجة التقارب بينهما وأثر ذلك في تحليل هذا الخطاب، فضلًا عن خرق القاعدة الثانية للكم في حديث نفر من الجِنّ لجماعتهم ودخولهم في شرح تفصيل مَن آمن بالقرآن ومن تخلف عنه، ويستلزم مصير كل منهما ـ ترغيبا في الأولى ، وترهيباً في الثانية ـ معنًى ضمنياً وهو تقرير العذاب وإدخال الرهبة والرعب في قلوب المتخلفين منهم .

قال الباري عز وجل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْباطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾(٢).

لو تأمَّلنا في الخطاب لوجدنا أنَّه تعالى فرَّع على توبيخهم لاتهامهم الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بنسبة القرآن إلى الله كذباً قوله تعالى :﴿**فَإِنْ يشأ اللهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ**﴾، وهو تفريع* فيه خفاء ودقَّة؛ لأنَّ المتبادِر من التفريع أنَّ ما بعد الفاء إبطال لِمَا نسبوه إليه من الافتراء على الله وتوكيد للتوبيخ، فكيف يُستفاد هذا الإبطال من الشرط وجوابِه المُفرَّعينِ على التوبيخ؟ (٣)، وهذا خرق لقاعدة الوضوح؛ إذ كيف يكون التفريع لإبطال افترائهم مستفادٌ من بيان إمكانية سلب الله لعقل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنعه عن الكلام؟ وللمفسرين في بيان ((هذا التفريع وترتبه على ما قبله أفهام عديدة لا يخلو معظمها عن تكلف وضعف اقتناع ،

والوجه في بيانه: أنَّ هذا الشرط وجوابَه المفرَّعين في ظاهر اللَّفظ على التوبيخ والإبطال، هما دليل على المقصود بالتفريع المناسب لتوبيخهم وإبطالِ قولهم، وتقديرُ

---

(١) ينظر: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي: ١٩ و ١٩٤.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٤.

* والتفريع يعني تقسيم الكل إلى أجزاء حتى يثبت لأمر حكماً بعد إثباته لأمر آخر، فإن الأجزاء المتفرعة عن الكل تثبت ما سبقها من كل/ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٦٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٨٦ .

المُفرَّع هكذا: فكيف يَكون الافتراء منك على الله والله لا يُقِرُّ أحداً أنْ يُكذِّب عليه فلو شاء لختم على قلبك، بمعنى: سلبك العقل الذي يُفكِّرُ في الكذب فتفحم عن الكلام فلا تستطيع أنْ تتقوَّل عليه، بمعنى: وليس ثَمَّةَ حائل يحول دون مشيئة الله ذلك لو افتريت عليه، فيكون الشرط كناية عن انتفاء الافتراء؛ لأنَّ الله لا يقرُّ من يَكْذِبُ عليه كلاماً))[1]، ومنه استلزم القول: إنَّ المعنى الحرفي للشرط هو إمكانية سلب عقل النبي(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) من الله تعالى، والمعنى التداولي لتشييد الاستلزام في هذا الخطاب هو انتفاء الافتراء عن الرسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وتبرئته من ذلك، فتوبيخ المشركين على افترائهم هو جواب الله لهم في التفريع وهذا خرق لقاعدة الوضوح.

قال الباري تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ قُلْ للهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ* .....* قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

لو تأمَّلنا في بناء هذا الحوار القرآني فسنجد أنَّه يتضمن ثلاثة أطراف:

أولها: الله تعالى (المتكلم) محاوراً الرسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم).

ثانيها: الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) محاوراً المشركين بلسان الله تعالى .

ثالثها: المشركين.

ولكنْ جميعُها ناطقة بلسان الله تعالى، وهذا من ضروب الحوار التي أطلقنا عليها مسبقاً (التواصل الأحادي الاتجاه) حيث يقوم المُرسِلُ بوضع أفكاره ومشاعره

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، بو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني :٣/٢٨٠.
(٢) سورة الأنعام : ١٢ ـ ١٥ .

في رسالة، ثُمَّ يرسلها من خلال وسيلة معينة (حديث، رسم، كتابة ... إلخ) إلى مُستَقبِلٍ يحاول تفسير رموزها بطريقة تشبه ما أراده المُرسِلُ[١]، وبيَّنَّا أنَّه مُستَعْمَلٌ في القرآن الكريم، وفي الواقع أنَّ ردَّ الرسول نفسه باللسان الحاكي عن الله تعالى إنَّما هو خرق لقاعدة الوضوح المستلزم لبساً؛ وذلك إنَّه من المتعارف أنْ يكون الردُّ من المخاطب(المشركين) لا من المستفهِم (الله تعالى)، وعليه استلزم أنْ يُفهمَ أنَّ المُراد من الاستفهام هنا هو الاستفهام المجازي غير الحقيقي على إرادة التقرير ((والتقرير هنا مُرادٌ به لازم معناه، وهو تبكيت المشركين وإلجاؤوهم إلى الإقرار بِما يُفضي إلى إبطال معتقدهم الشركَ، فهو مُستَعَمَلٌ في معناه الكنائي مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكنائي))[٢]، يُؤيِّدُه أنَّك إذا أردت إقرار المسؤول الحقيقة التي تريد أنْ تثبتها كررت عبارة ما؛ إذ أنَّ ((التكرير في مقام الاستدلال))[٣]، وكأنَّكما _ المتكلم والمُتلقي _ قد اشتركتما بمراحل عقلية استدلالية للوصول إلى حقيقة لاريب فيها، فإنَّ إقرار المتلقي السائل لا سبيل فيه إلى المغالطة، فضلًا عن الإيقاع الرهيب المُزلزِلُ، المُتمثِّلُ في الأمر العلوي: قل ـ قل ـ قل ، وعرض حقيقة الألوهية مبدوءة بعرض حقيقة الملكية .. وعرض العذاب، وعرض القدرة الإلهية، والاستعلاء، والحكمة والخبرة، وهذه في الحقيقة مؤثِّرات قوية تزلزل القلوب فإذا تمَّ هذا العرض بكلِّ مؤثِّراته العميقة، جاء الختام بالإيقاع العالي المجلجل .. إيقاع الإشهاد على التوحيد، وإنكار الشرك والمفاصلة الحاسمة مصحوباً كذلك بالأمر العلوي في كل فاصلة: ((قل: أيُّ شيء أكبر شهادة؟))..((قل : الله)) ((قل : لا أشهد)) ... ((قل : إنَّما هو إله واحد))، **في قال تعالى :﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**

(١) الفصل الثالث من الرسالة:١٠٣.
(٢) التحرير والتنوير٧ / ١٥٠ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1] ، كلُّ هذا يُضفي على الجو رهبة غامرة، ويُضفي على الأمر كلِّه طابعاً مرهوباً[2]، وعليه يُمكنُ القول بأنَّ التداولية تتعامل مع المجالات الحيوية للرموز، أُرِيدَ: مع الظواهر النفسية والبيولوجية والاجتماعية التي يتضمَّنها إصدار الرموز، وخلاصة القول: إنَّ المعنى الحرفي : هو أمر الله تعالى رسوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) سؤال المشركين عن مالك السموات والأرض، والمعنى الضمني: إلقاء الحجة بوساطة إقرارهم بوحدانيته تعالى والاستهزاء بمعتقداتهم مكسوّاً بأسلوب الرهبة والخوف والإجلال، وهذه الاستراتيجية كثيرة في القرآن الكريم .

ثالثاً: **خرق قاعدة المناسبة**:

وتنصُّ على جعل مساهمة المُتخاطبيَن في الحوار المتبادل واردة، أي ليناسب مقالك مقامك[3] ، وقاعدة الملاءمة ضرورية لاستمرار التعاون التخاطبي، ودوام الحدث الكلامي بين المتحاورين إلَّا أنْ يعمد أحدهما إلى انتهاك هذه القاعدة لهدف ما تقتضيه ظروف التخاطب، فيلجأ المتلقي إلى البحث عن المعنى الذي أراد المتكلم إفهامه له حين انتهك قاعدة الملاءمة[4]. أي أن خرق هذه القاعدة يتمثَّل في قول الطرف الآخر من الحوار شيء ليس له صلة وثيقة بسياق المقولة التي تلفَّظ بها الطرف الأول، إلاَّ إذا كان يعتقد أنَّ هناك صلة ما.

وقد مثَّلْنا لهذا الخرق في الخطاب القرآني بالآتي:

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٩ .
(٢) ينظر : في ظلال القرآن ٢ / ١٠٤٧ ـ ١٠٤٨ .
(٣) ينظر: المنطق والمحادثة :٦٢٧.
(٤) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية : ١٥٧.

_ الوحدة الحوارية التالية: قال تعالى: ﴿ وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ ﴾[1].

إنَّ من أروع ما يُهدَفُ إليه في القرآن الكريم هو تحقُّقُ التواصل الحواري مع عدم حضور الآنيَّةِ في تبادل الأدوار بين المتحاورين، وهذا المثال من جملة هذه الحوارات ؛ إذ نجد أنَّ الله تعالى عندما ردَّ على المشركين الذين يصفون القرآن الكريم بالشعر، فخرق بهذا قاعدة المناسبة؛ إذ إنَّ قول المشركين كان في شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما هو، ولابُدَّ من أنْ يكون الجواب المتعارف بإقرار تلك الصفة فيه أو نفيها عنه، ولكنَّ ردَّ الله تعالى كان في نفي تعليمه الشعر، وعليه مع افتراض مبدأ التعاون والكفاءة التداولية المنطقية المتعارفة من أنَّ نفي الملزوم كون القرآن ليس شعراً استلزم منه نفي اللازم، وهو كون الرسول (ليس شاعراً)، وعليه استلزم أنْ يفهمَ المشركون أنَّ الرسول ليس بشاعر؛ إذ أنَّ ((المراد من نفي تعليمه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بتعليم الكتاب الشعر نفى أنْ يكون القرآن شعراً على سبيل الكناية؛ لأنَّ ما علَّمَه الله تعالى هو القرآن وإذا لم يكن المعلَّم شعراً لم يكن القرآن شعراً البتة))[2].

رابعاً: **خرق قاعدة الكيف**:

تنصُّ هذه القاعدة على أنْ تكون مساهمة المتكلِّم صادقة، وتتفرَّع إلى مقولتيَن هما:

١ – لا تقلْ ما تعتقد أنَّه كاذب.

٢ – لا تقلْ ما تفتقر إلى دليل كافٍ عليه[3].

---

(١) سورة يس: ٦٩ . ٧٠ .
(٢) روح المعاني ٢٣ / ٥٧ .
(٣) ينظر: المنطق والمحادثة:٦٢٧/٢.

ونجد أنَّ (غرايس) أهتمَّ بقاعدة الكيف كثيرًا، إذ رأى أنَّ سائر قواعد التعاون لا تغدو نافذةً إلاَّ بافتراض استيفاء قاعدة الكيف، فهي الأساس الذي تُبنى عليه العملية الحوارية؛ لأنَّها تضمن الجانب التصديقي في عملية التحاور، فانتقادنا لشخص ما يُعرب عمَّا في نفسه بإطناب مبالغ فيه عادةً ما يكون ألطف من انتقادنا شخصًا آخر قال شيئاً وهو واثقٌ من خطأه(١).

ويحصل انتهاك قاعدة الكيف حين يقول المتكلِّم شيئاً ما وهو غير واثق من كلامه أو يعتقد بكذبه، أو يقوله وقد افتقر إلى الدليل على صدقه مع استمرار احترامه لمبدأ التعاون؛ فينتج عنه خرق لقاعدة الكيف(٢).

في الواقع إنَّ الكذب من منظور تداولي: هو انتهاك للشرط التداولي للتوكيد ، وللقواعد الأخلاقية العامة للصدق التي تمثِّلُ أساس كلِّ تفاعل إنساني، وهو ظاهرة معقدة يمكن التعامل معها فلسفياً وأخلاقياً، ودلالياً، و تداولياً واجتماعياً ، ونفسياً وسياسياً، وثقافياً(٣) ، وما سنقف عليه من القرآن الكريم في هذه الدراسة الغرايسية إنّما أقوال محكية نقلها تعالى في كتابه بلسان قائلها ، وذلك على وفق قسميها اللذينِ جاء بهما (غرايس) .

في قوله تعالى على لسان المشركين:﴿**وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ**﴾ (الصافات:٣٦).

_ النبي محمد(صلَّى الله عليه وسلَّم) وكل متلقٍ.

لو تأمَّلنا في هذا الخطاب لنجد أنّه خرق لقاعدة الكيف؛ لأنَّه مخالف للواقع ؛ إذ لم يكن(النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) شاعر أو مجنون كما ادَّعوا ، ولكن مع

(١) ينظر: المصدر نفسه:٦٢٠.

(٢) ينظر: المقاربات التداولية في شرح السيرافي، عمار إحسان عبد الله:٧٤.

(٣) ينظر: التلويح الحواري:١٦٥.

افتراض مبدأ التعاون ، وافتراض أنَّ النبي يُدرك أنَّ سبب ردة فعلهم هذه هو اعتقادهم إنكارهم لمعجزة القرآن الكريم، استلزم منه أنْ يفهم أنَّ قولهم هذا إنَّما هو لعدم وصولهم لمرحلة الإيمان بعد؛ ولذا قيل: إنَّه ((لا يشتمل محتوى المفهوم المكونات الدلالية المدركة والمستعملة في التخاطب والمرتبطة بالكلمة فقط بل يشمل كذلك السِّمات التي تعكس القاعدة المعلوماتية العامة للإنسان ومعارفه الموسوعية عن الشيء أو الظاهرة المناسبة لكنَّها تُعدُّ ذخراً للتجربة الفردية والجماعية))[١] ، بمعنى : إنَّ قولهم :**(أَإِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا)** يدلُّ على عين الجهل بحقيقة البصيرة التي يريد النبي منهم أنْ يصلوا إليها، ومنه يُعلَمُ أنَّ تفكيك النص لا يتوقف على مقاصد المتكلم بل على القرائن التي يوجدها النص، وفي ذلك يقول أحد الباحثين:((إنَّ المعرفة النوعية المتقاسمة بين أفراد مجموعة لغوية ما تسمح بتفادي العنف ، وسوء الفهم، والقلق لكلِّ طرف من أطراف التبادل ... وباختصار فهي تحمي التواصل الكلامي))[٢]؛ ولذا أعطى (غرايس) هذه القاعدة أهمية كبرى قياسًا للقواعد الأخرى قائلاً: ((وأنا أعتبر فعلاً أنَّ القاعدة الأولى للكيف تكتسي على أقل تقدير، أهمية بالغة بحيث ينبغي ألاَّ أدرجها ضمن مشروع من قبيل ما أنا بصدد تدبيره، أمَّا باقي القواعد فلا تغدو نافذة إلاَّ إذا افترضنا استيفاء قاعدة الكيف هذه))[٣] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾[٤]، إنَّ الدينامية الحوارية التي بُني عليها جواب المشركين للنبي (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) حين اتهموه بأنه شاعر فيها خرق لقاعدة الكيف ؛ لأنّها خلاف الواقع ، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون وافتراض المعرفة المشتركة بين المخاطبين وهي علم الناس أو المخاطبين بنوايا المشركين آنذاك استلزم من السامع أنْ يفهم أنَّهم إنَّما قالوا هذا في

(١) اللسانيات الإدراكية : زينايدا بوبوفا : ١٠٦ .
(٢) نقلاً عن كتاب(في قضايا الخطاب والتداولية) : د . ذهبية حمو الحاج : ٢٥٨ .
(٣) المنطق والمحادثة (مقالة) : إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ / ٦٢٠ .
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٥.

حقه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)؛ لأنَّهم إنَّما أرادوا من ذلك نفي الرسالة كناية وتصريحاً فزعموا أنَّه شاعرٌ، ولذا قيل: إنَّ ((اللُّغات الفردية هي ما يمكن أنْ يعكس التوترات الموجودة بين الأفراد ، ونتيجة لذلك فإنَّ التعدُّدَ السُّنَنِي هو ملاذ أيِّ تفاعل حواري يُرادُ له أنْ يعكس العلاقات الحقيقية بين الأفراد))[١]، وهذه إشارة إلى أنَّ الازدواجية السُنَنِية هي من أهم الخواص الحوارية للتواصل الحواري، فضلًا عن أنَّ السلوك الحواري عند (فاستلافيك) لا يقتصر على نقل الخبر بل يحمل في الوقت نفسه على سلوك معين، وهذا يدلُّ على تأثير المضمون الحواري في توجيه المعتقدات[٢]، فالمعنى الحرفي وصف النبي أنَّه شاعرٌ، والمعنى الإنجازي التداولي: نفي الشعر عنه(عليه السلام)، ومثله لو قال أحدهم: (الجو جميل) في يوم ممطر، فكلامه هذا مخالف للواقع، وبالتالي((سيجعل المخاطب يبحث عن مضمون استلزامي يجعل الملفوظ يوافق هذا المبدأ، وسيخلُصُ في هذا المقام إلى أنَّ المدلول المعاكس هو المقصود))[٣]، فضلاً عن ردِّ المولى عليهم في مواضع أخرى من القرآن، وهنا ((نلحظ دور المتلقي والمخاطَب في تفكيك الرسائل أو الخطابات، وكيفية استنجاده بمعانٍ مختلفة تُمكِّنُه من القبض على المعاني المقصودة في أغلب الأحيان، وكلَّما استطاع الولوج إليها حدث التطلع إلى الصبغة الاجتماعية للخطاب، وتمكُّنُ المخاطب من تحريك النتاج الخطابي وضبط كلِّ ما هو تركيب ودلالة وتداول))[٤] ، ومنه يُعلَمُ أنَّ التبليغ قائم على القصدية فضلًا عن تجاوزه حدود الظاهر إلى المعنى الخفي الذي يضمره المخاطب وهو أعقد من الإرسال .

(١) الحوار و خصائص التفاعل التواصلي: ٢٦.
(٢) ينظر : المصدر السابق: ٢٠.
(٣) الحوار و منهجية التفكير النقدي: ١٣١.
(٤) في قضايا الخطاب و التداولية: ٢٨٣.

المبحث الثاني

الاستلزام الحواري المخصص المركب

أولاً: خرق قاعدة الكيف من أجل عدم خرق قاعدة الكم

(أ) قال تعالى على لسان المشركين:﴿قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ ﴾[1] .

(ب) قال تعالى محاورًا الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):﴿ قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

لفك شفرات هذا الخطاب نحتاج إلى تحليل أقوال المتخاطبين، أمَّا قول المشركين للنبي الأعظم محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ففيه خرق لقاعدة الكيف؛ إذ لم تكن عقولهم في أكنَّةٍ، وفي آذانهم وقرٌ، كما لم يكن بينهم وبين الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) (حجاب) .... في الواقع، ولكن لمَّا أرادوا التعبير عن واقعهم وحقيقتهم كما هي خرقوا هذه القاعدة عن طريق الاستعمالات المجازية؛ وذلك لأنَّ هذه الاستعمالات تُعطي صوراً مبسطة لأخرى أكثر تعقيداً، حتى تعم الفائدة المرجوة[3]، وذلك بتصوير الأمور المعنوية المحسوسة عن طريق الأمور المادية الملموسة، فيؤَمِّنوا بذلك قاعدة الكم، وعليه فبوضعهم رداءَ المبالغة على تلك الصورة بأسلوب استعاري استلزم أنْ يفهمَ الرسول محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أنَّ هذا إشارة إلى عدم قدرتهم على تصديق تلك الدعوة طيلة حياتهم، ويُؤيِّدُ ما قلتُ أدلة

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥.
(٢) سورة فصلت: الآية ٦ ١.
(٣) ينظر: الاستعارة في الخطاب: إيلينا سيمينو، ترجمة: عماد عبد اللطيف وخالد توفيق:٣٣٤ . ٣٣٥ .

بلاغية ودلالات نحوية في هذا النصِ، أمَّا الأولى فوجود وجه الشبه بين الحالة التي هم عليها وبين استعمالهم:

أ ـ (الأكنة)(الأغطية)[١]: وأراد((حيلولة وصول الدعوة إلى عقولهم كما يحول الغطاء والغلاف دون تناول ما تحته ...))[٢].

ب ـ (وقر): الوَقر بفتح الواو: ثُقل في الأُذُن تقول: وقرتْ أُذني عن كذا تقرُ وقْراً، بمعنى ثَقُلَت عن سمعه، وهو الصمم، وكأنَّ اللُّغة أخذتهُ من الوِقر بكسر الواو، وهو الحِمل؛ لأنَّه يُثَقِّلُ الدَّابة عن التحرك، فأطلقوه على عدم تحرك السمع عند قرع الصوت المسموع، وشاع ذلك حتى ساوى الحقيقة ففتحوا له الواو تفرقة بين الحقيقة والمجاز ... [٣] .

ج ـ (الحجاب): الحجاب: الساتر للمرئيّ من حائط أو ثوب[٤]، أطلقوا اسم الحجاب على ما يمنع نفوسهم أنْ يأخذوا بالدِّين الذي جاء به النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بجامعِ أنَّ الحجاب يحول بين الرائي والمَرْئِيّ فلا ينظر أحدهما الآخر ولا يصل إليه، ومُرادُهم البراءة منه[٥].

ومِمَّا تقدَّم يُعلَمُ أنَّ العلاقة المنطقية من نمط التشارك لا تتوقف على البنية العطفية لتعبِّرَ ـ على السطح ـ عن تلك العلاقة بل تتولَّد من التشبيه والمجاز؛ إذ يتيح هذا المشكل عدداً من الاشتغالات الاستدلالية المرتبطة بما يُصطلح عليه مبدأ التجاوز على اعتبار أنَّ كلَّ تماثل يوحي بأنَّ المشابهة بين (س و ص) تمتدُّ إلى أكثر من الخاصيات المعلنة تصريحياً، أو بشكل مضمر[٦]، وبِمَا أنَّ السلسلة الرئيسية من وظائف الاستعارة في الخطاب ترتبط بتمثيل (أبعاد معينة من) الواقع ،

(١) ينظر: لسان العرب ١٣ / ٣٦١ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٣٣.
(٣) ينظر العين ٥ / ٢٠٦، التحرير و التنوير ٢٤ / ٢٣٣.
(٤) ينظر: لسان العرب ١ / ٢٩٨ .
(٥) ينظر: التحرير و التنوير ٢٤ / ٢٣٤.
(٦) ينظر: في التداولية المعاصرة و التواصل: ٩٨.

فضلًا عن أنَّ تلك الاستعارة تنطوي على إنشاء شيءٍ بمفردات شيءٍ آخر فإنَّ اختيار(شيءٍ آخر) (أو مجال مصدر) يؤثِّرُ في كيفية تمثيل (الشيء) (أو المجال المُستَهدَف) على نحوٍ أكثر تحديداً، فيُمكِنُ القول: إنَّ الاستعارات يُمكِنُ أنْ تُستَعمَلَ للإقناع بصياغة مفاهيم جديدة للواقع وتبريرها وتقييمها وشرحها والتنظير لها(١)، وعليه فإنَّ استعمال هذه الاستعارات مجتمعة في قول المشركين يُشير إلى غرض تداولي وهو المبالغة في نقل الصورة لبيان موقفهم وتجافيهم عن تقبل هذا الدين.

أمَّا الثاني فيكمنُ في النقاط الآتية:

أولاً: دلالة (في): لمَّا كان حرف (في) يفيد معنى إحاطة الظرف بالمظروف جُعلت القلوب في أكنَّة، وكذلك جعل الوَقر في الأُذن لإفادة تغلغله في إدراكهم .

ثانياً: دلالة (من): إمَّا مجيء حرف (مِن) في قوله تعالى:﴿**وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ**﴾ فلتقوية معنى الحجاب بين الطرفين وتمكن لازمه الذي هو بُعد المسافة التي بينهما؛ وعليه يمكن القول هنا: إنَّ (مِنْ) هنا لتأكيد مضمون الجملة(٢).

ثالثاً: دلالة التركيب: ﴿**فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ**﴾ على التحدي: فإنَّه تفريع على تأييسهم الرسول محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) من قبولهم دعوته، وجُعل قولهم هذا مقابِل وصف القرآن بأنَّه (بَشير ونذير) لظهور أنَّه تعيَّن كونُه نذيراً لهم بعذاب عظيم؛ لأنَّهم أعرضوا فحُكي ما فيه تصريحهم بأنَّهم لا يعبؤون بإنذاره فإنْ كان له أذى فليؤذيهم به وهذا كقول فرعون:﴿ **ذَرَوني أَقتُل موسى ولْيَدْعُ ربه**﴾ .

رابعاً: حذف مفعولا **(فَاعْمَلْ) و(عامِلُونَ)**: وهنا طلبوا من الرسول محمد (صلَّى الله عليه وسلم وآله وسلَّم) أنْ يهديهم إلى الإسلام ولكن على طريقة التعريض بالتعجيز عن طريق خرق قاعدة الكم؛ إذ حذفوا ما يقع عليه العمل ليشمل كلَّ ما يمكن أنْ

---

(١) ينظر: الاستعارة في الخطاب، ايلينا سيمينيو : ٧٨ .
(٢) ينظر: التحرير و التنوير ٢٤ / ٢٣٤ ـ ٢٣٦.

يعمله لأجل تغييرهم، وهذا يُوهِمُ (إمكان التغيير) ولكن مع افتراض مبدأ التعاون والكفاءة التداولية بين الطرفين المتحاورين وعلم النبي محمد (صلَّى الله عليه وسلم وآله وسلَّم) بواقعهم وما يتبنونه من الفكر العقيدي استلزم منه أنْ يفهمَ أنَّهم أرادوا أنْ يقولوا: مهما عملت من عمل فإنَّك عاجز عن دخولنا الإسلام، وفيه إشارة إلى إصرارهم على موقفهم، يُؤيِّدُهُ قولُ المفسرين ((والأمر في قوله: **(فَاعْمَلْ)** مُستَعْمَلٌ في التسوية.

خامساً: قولهم: **(إِنَّنا عامِلُونَ)**، وهذا أيضاً خرْقٌ لقاعدة الوضوح فالمعنى الحرفي: هو الإخبار بالعمل، ولكن المعنى الإنجازي هو التهديد بوقوع الأذى بكل مصاديقه. وبهذا تعمل كلُّ هذه القرائن على نقل الغرض النفعي التداولي وحكاية عقيدة هؤلاء ، وإصرارهم على موقفهم، ومنْهُ عُلِمَ أنَّ المحتويات الضمنية تحتل مكانة هامَّة في الأقوال وتقوم بدور حاسم في عمل الآلية التفاعلية، فلا يُعدُّ إيضاح المحتويات ممكناً إلاَّ بالرجوع إلى عدد معين من المعلومات بالوضع اللُّغوي الذي يدخل في بناء الأقوال(الكفاءات اللغوية)، ومعلومات مُتعلِّقةٌ بالكفاءة خارج لغوية (الكفاءات المعرفية)، إضافة إلى عمل القوانين التخاطبية (الكفاءة ـ البلاغية ـ التداولية) ، والاستعانة ببعض الآليات الخاصة بالمنطق الطبيعي أو ما أُطلِقَ عليه بالكفاءة المنطقية(١) .

أمَّا ردُّ الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) على المشركين:﴿ **إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يوحى إِلَىَّ أَنَّمَآ إلهكم إله واحد فاستقيموا إِلَيْهِ واستغفروه وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ**﴾ ففيه خرق لقاعدة المناسبة؛ إذ هناك بون كبير في الظاهر بين أمرهم النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بالعمل وبين إجابته، فكان من المُفترض أنْ يكون الردُّ بصورة مباشرة بالاستطاعة وعدمها، ولكن مع افتراض مبدأ التعاون والمعرفة

(١) ينظر: التداولية واستراتيجية التواصل : د . ذهبية حمو الحاج : ٢٢٣ .

المشتركة بين الطرفين القائمة على معرفة حدود الإمكانية البشرية استلزم منهم أنْ يفهموا أنَّه أراد بقوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) هنا عدم الاستطاعة، وما خرق (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) هذه القاعدة إلاَّ ليؤمِّن قاعدة الكيف؛ لأنَّه إذا صرَّح بعدم الاستطاعة لم يطابق هذا والواقع الذي يدعيه أمامهم وهو النبوة والقرب الإلهي؛ فلذا عمد إلى تصدير دليل على عدم الاستطاعة مستغنيًا به عن التصريح بذلك، وليس هذا فحسب بل خرق قاعدة الكم بقول: **(يُوحى إِلَيَّ)** حتى لا يخرق قاعدة الوضوح ليميِّزَ بذلك نفسه عن بقية البشر بهذه الإشارة، ولولا ذلك لظلَّ الأمر ملتبسًا لديهم بقوله: (أنا نذير من قبل الله تعالى) مع عدم استطاعته فعل شيء لهم، وكان جوابه (صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم) عموماً ((جوابَ المُتبرئ من أنْ يكون له حول وقوة ليعمل في إلجائهم إلى الإيمان لمَّا أَبَوهُ؛ إذ ما هو إلاَّ بشرٌ مثلهم في البشرية لا حول له على تقليب القلوب الضالة، إلى الهدى، وما عليه إلاَّ أنْ يبلغهم ما أوحَى الله إليه))[1]، وفي هذا كناية عن تفويض الأمر في العمل بجزائهم إلى الله تعالى كأنَّه يقول: وماذا أستطيع أنْ أعمل معكم فإنّي رسولٌ من الله عزَّ وجلَّ فحسابُكم على الله، فصيغة القصر في **(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم)** تفيد قصراً إضافياً، بمعنى: يقتصر دوري في حدود الإمكانية البشرية من دون التصرُّفِ في قلوب الناس[2]، هذا مع بيان ما يُميِّزَه في قوله: **(يُوحى إِلَيَّ)** كما نوَّهنا، ومنْهُ عُلِمَ أنَّ النبيَّ محمد (صلَّى الله عليه وسلَّم) قد قصد أكثر مِمَّا يقول، فالمعنى الحرفي: الإخبار بنوع جنس المتكلم، والمعنى الضمني الكنائي: عدم الاستطاعة وتفويض الأمر لله تعالى وحده، يُؤيِّدُهُ ما قاله (توردوف) عن القصديين: ((إنَّه من المُحال أنْ يُعرَفَ على وجه اليقين مفهوم

(١) التحرير و التنوير ٢٤ / ٢٣٦.
(٢) ينظر: المصدر السابق ٢٤ / ٢٣٧.

ما إنْ لم ترجع إلى ما يُكنِّيه وما ينويه المتكلمون من مقاصد معقدة مُوَجَّهة نحو مستمعيه)) [١].

ثانيا: **خرق قاعدة المناسبة من أجل عدم خرق قاعدة الكم**:

قال الباري تعالى:﴿ وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٢] .

بعد أنْ بيَّنَ تعالى في قوله تعالى:﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ** ﴾ في هذه السورة كيف أنَّه استجاب لنداء أيوب وشفاه مِمَّا ابتلاه فيه بعد الصبر انتقل تعالى في هاتين الآيتين ليسْرُدَ لنا إتمام نعمه على أيوب (عليه السلام)، من إرجاع أهله، والرفق بزوجته بعد أنْ أقسمَ بضربها، حتَّى لا يقع في حنث اليمين، ولو تأمَّلنا في هذا الحوار لنجد أنَّ انتقال الله تعالى من الدعوة إلى الإتعاض والأسوة بالأنبياء[٣] عمومًا إلى أمر أيوب (عليه السلام) الذي هو الطرف الثالث في الخطاب الممتد بقوله:﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ**﴾ إنَّما هو في الحقيقة خرق لقاعدة المناسبة؛ إذ لا علاقة بين إخبار الله تعالى الرسول محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بالنعم التي أنعمها لأيوب(عليه السلام) جزاء لصبره وبين هذا الأمر؛ ((لأنَّ ذلك استجابة دعوة وهذا إفتاء برخصة، وذلك له قصته، وهذا له قصة أخرى أشارتْ إليها الآية إجمالاً... ومُجملُها إنَّ زوج أيوب حاولتْ عملاً ففسَّدَ عليه صبره من استعانة ببعض الناس على مواساته فلمَّا عَلِمَ بذلك غضب وأقسم ليضربنَّها عدداً من الضرب ثُمَّ ندِمَ وكان محبّاً لها، وكانت لائذة به في مدة مرضه، فلمَّا سُرِّي عنه أشفق على امرأته من ذلك ولم يكن في دينهم كفَّارة اليمين فأوحى الله إليه أنْ يضربها

(١) المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث : تدوروف ، فريجة وآخرون : ٧٩ .
(٢) سورة ص : ٤٣ ـ ٤٤
(٣) سورة ص : ١ ـ ٤٣ .

بحُزمة فيها عددٌ من الأعواد بعدد الضربات التي أقسمَ عليها رفقاً بزوجه لأجلِه وحفظاً ليمينه من حنثه؛ إذ لا يليق الحنث بمقام النبوءة، وليست هذه القضية ذات أثر في الغرض الذي سِيقَت لأجلِه قصة أيوب من الأسوة، وإنَّما ذُكِرَت هنا تكملة لمظهر لطف الله بأيوب (عليه السلام) جزاء على صبره))[١]، أي: ما قال تعالى ذلك إلا ليُؤمِّن القاعدة الأولى للكم، بمعنى: لو اكتفى تعالى بذِكْرِ شفاء أيوب (عليه السلام) وإرجاع أهله مَا أعطى المعلومات الكافية عن النعم التي أنعمها تعالى على أيوب آنذاك، وبالتالي استلزم منه أنْ يفهمَ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أنَّ المُراد منه (ولطفنا به)، يُؤيِّدُه قول موشلر: ((يتوقف نجاح عملية التواصل اللَّفظي على الطابع القصدي للرسالة، وعلى الاستدلالات التي يقوم بها المخاطب، حيث يقوم هذا الأخير بمجموعة من الاستدلالات غير البرهانية اعتماداً على المبادئ العامة للتواصل، والنتيجة المُحصَّل عليها من خلال هذه الاستدلالات، وهي نجاح العملية التواصلية وموافقتها لمقاصد المتكلم))[٢]؛ لذلك يُعرَّفُ المعنى على أنَّه: ((ذلك الذي يعتقد مستعمل رمزاً ما أنَّه يُحيلُ عليه))[٣]، فاستعمال (الضغث) (قبضة من القضبان) [٤] تشير إلى الضرب بعدد ما يحتويه ذلك الضغث من الأعواد، فضلًا عن الانتقال من خطاب الرسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) إلى خطاب أيوب (عليه السلام)، أو الانتقال من الغائب إلى الحاضر لهُ دور كبير في إثارة مشاعر الرسول محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) حتَّى يُتخيل له حضور المشهد في الآن؛ وذلك للإيحاء بحضور الرحمة واللُّطف الإلهي المحيط به (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) تسلية له؛ ولذا قيل إنَّ (أنا) و(أنت) في الإيصال اللِّساني يفترض الواحد منهما الآخر، والحال في الإيصال السردي للقصة مثله، لكن القصة يغلب عليها (أنا)، أو ضمير المتكلمين

(١) التحرير و التنوير ٢٣ / ٢٧٣.
(٢) القاموس الموسوعي للتداولية: ٥.
(٣) معنى المعنى، أوغدل ريتشارد: ٢٩٩ .
(٤) ينظر: العين ٤ / ٣٦٤.

المُراد منه الواحد للتعظيم بلسان الراوي، والقضية في الواقع إنَّما هي في وصف النظام الذي يكون فيه للراوي والقارئ معنى على طول القصة نفسها لتحقق تواصلًا تفاعليًا بين الراوي والقارئ، بدليل إنَّه كل مرة يتوقف الراوي فيها عن التقديم، فإنَّه يحمل وقائع يعرفها معرفة جيدة، ولكن القارئ يجهلُها[١]، وهذا نجده في النصّ القرآني عندما قصَّ الله تعالى على رسوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) قصص الأنبياء جميعًا، ولاسِيَّما سورة (ص ـ الأنبياء ـ القصص) وغيرها؛ إذ كثُر فيه استعمال ضمير المتكلمين، وبقي تعالى معه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في الخط نفسه لحكاية قصتهم، ولو توقف تعالى عن حكاية نوع من العذاب لمَّا تعرَّف الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) عليه، وبهذا أثبتنا بوساطة هذا التحليل أنَّ اللسانيات تصف العناصر التي تدخل في تكوين القصة، وأنَّ الخطاب يحتوي على أزمنة القصة وأطرافها وصيغها، وبذا تحقَّقَ تواصل سردي فضلًا عن الحواري لتعدد الأطراف المكونة للقصة، وفي النهاية تحقَّقَ الهدف المنشود من هذا التواصل، وهو إيصال المعنى المُرادُ إيصاله من الله تعالى إلى رسوله بوساطة سرد تلك القصص للأسوة بصبرهم وشدِّ أزر الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) والوعد بالعاقبة الحسنة والمقام الرفيع إزاء هذا الصبر .

الأنموذج الثاني:

(أ) قال تعالى: إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [٢].

(ب) كل متلق.

---

(١) ينظر : مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت : ٧٠ ـ ٧١ .
(٢) الشعراء: الآية ٦١.

يظهر من هذا النصُّ المبارك الذي هو بمثابة خطاطة حوارية أنَّ هناك ثلاثة أطراف في الحوار، فلو تأمَّلنا في قول الرسول محمد (صلَّى الله عليه وآله سلَّم) لصاحبه عندما شعر بالإحباط بعدما أدرك أنَّهم سيلقون حتفهم لا محالة لنجد أنَّه قد خرق قاعدة الكم حتَّى لا يخرق قاعدة الكيف؛ إذ بإمكانه أنْ يكتفي بقوله لا تخف، بمعنى: لن يتمكَّنوا منَّا، مع كلِّ ما تحمله هذه الكلمة من إيقاع الشدة والتوكيد الذي كان ملؤهُ الثقة بالله، واليقين بعونه، والتأكُّد من النجاة، ولاسِيَّما بعد أنْ أوحى الله إليه بالنَّجاة وإنْ كان لا يدري كيف تكون، ولكن حتَّى لا يَدَع داعياً ليفكر ولو قليلاً بأنَّ قوله هذا قد لا يكون واقعاً؛ لعدم وجود دليل عليه خرق قاعدة الكم فقال: ﴿**إن الله معنا**﴾، وعليه كان تيقُّنُ النبي(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بمآزرة الله تعالى له وتحقُّق الغلبة على المشركين متبوعاً بدليل، وهذا كما يُسمِّيه جولان غريماس (سيماء الأهواء)[١] ، أو(سيماء الشعور) [٢] ، وخلاصة القول: إنَّ النبيَّ واثقٌ بأنَّ الله منجيه لقوله تعالى: ﴿ **فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ** ﴾[٣]، فكما تقدَّم آنفاً إنَّه وعد بضمان النجاة [٤]، وقد استلزم هذا منهم أنْ يصدِّقوا قوله .. وإنَّ هذا حدثَ فعلاً إذ أوحى الله إليه ما يجب أنْ يفعله فأمره أنْ ((لا يحزن))؛ ولذا بيَّنَ شاردو أنَّ ((الاستراتيجيات اللُّغوية تتمحور حول عدد من الرهانات، منها رهان إضفاء الشرعية الذي يحدِّدُ وضعية سلطة المتكلم ، ورهان الصدق الذي سعى إلى تحديد وضعية صدق المتكلم، ورهان الإثارة الذي تكمن الغاية منه في حمل الآخر على المشاركة في العملية التبادلية التبليغية، انطلاقاً مِمَّا يُفكر فيه المتكلم))[٥]، فلولا رهان صدق وعد الله، ورهان السلطة الشرعية التي أعطاها الله للنبيِّ محمدٍ من الجزم في استراتيجية قوله المنطلقة من

(١) ينظر: سيماء الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ألجيرداس .ج. غريماس:١٧.
(٢) ينظر : التحليل السيميائي والخطاب : د. نعيمة سعدية : ١٥١ .
(٣) سورة التوبة ٤٠
(٤) ينظر : التحرير و التنوير ١٩ / ١٣٥.
(٥) مقالات في التداولية و الخطاب : ٦٩ .

تفكيره، فضلًا عن أنَّ هذه الاستراتيجية نفسها رهان يثير مشاعر المخاطب وأسئلته فيدفعه للمشاركة والتيقُّن بكلام الرسول .

ثالثاً: خرق قاعدة الكم من أجل عدم خرق قاعدة المناسبة

قال غرايس: ((وتقبل القاعدة الثانية ـ للكم ـ للنقاش : إذ قد نظن أنَّ توفير قدر كبير من المعلومات لا يمثل انتهاكًا لـ(م ـ ت) وإنَّما هو مجرد إضاعة للوقت، ومهما يُمكِنُ من أمر فإنَّنا نستطيع الرد على هذا الاعتراض بملاحظة أنَّ مثل هذا الإفراط في المعلومات قد يكون مُضلِّلاً؛ لأنَّه قد يثير مسائلاً هامشية، وقد يؤثِّرُ هذا الإفراط تأثيراً غير مباشر؛ إذ قد يُضَلّلُ المخاطبون لظنِّهم أنَّه يكمُنُ غرضاً محدداً وراء هذا الإفراط في المعلومات. ومع ذلك قد توجد أسباب أخرى للتردُّدِ في قبول هذه القاعدة الثانية لاسِيَّما أنَّ قاعدة لاحقة ستُعنى بالمناسبة ستؤمِّنُ مفعول هذه القاعدة))[1] .

في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[2].

لو تأمَّلنا في هذا الخطاب المُوجَّه من الله تعالى إلى المؤمنين لنجد أنَّه قد خرق قاعدة الكم الأولى (لم يعطِ المعلومات الكافية)؛ إذ سكت عن بيان موقف المؤمن بعد أنْ أمرهم بالاستجابة لِمَا يدعوهم إليه الرسول؛ وذلك لأنَّ ذكره يؤدي إلى الخروج عن المناسبة في الحوار؛ فالكلام كلُّ الكلام في الترغيب والترهيب: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾، وهو مُوجَّه إلى المؤمن فحسب، وعليه استلزم أنْ ((يُفهمَ منْهُ أنَّ المؤمن ليس كذلك؛ لأنَّ المؤمنَ وإنْ عمل بعض السيئات وتوقع العقاب على سيئاته فهو يرجو أنْ تكون عاقبتُه إلى النعيم، ومنه يُعلَمُ أهمية دور المتلقي وفعاليته في قراءة النصّ وفهم معناه، لاسِيَّما في النصوص التي تتميز

(١) المنطق والمحادثة (مقالة) : إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ٢ : ٦١٩ .
(٢) سورة الأنفال:٢٤.

بالعمق؛ وذلك ((لأنَّ الخطاب فضاء وثقوب ومساحة مفتوحة، وقراءته ـ فهم معناه ـ تتيح للقارئ الولوج إلى عالمه، .... والتعرُف إلى تضاريسه، واختيار موقع ما على خارطته، وإذا كان النصُّ يحتمل أكثر من قراءة، فكلُّ قراءة منطق نفوذها داخل النص، ولكلِّ قارئ استراتيجيته الخاصة وراء قراءته، فالقراءة تسمح بالاختيار والترحال والاغتراب)) [١] .

رابعاً: **خرق قاعدة المناسبة من أجل عدم خرق قاعدة الكيف** :

ومثالُه في القرآن الكريم ما يأتي :

قال تعالى:﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٢].

إنَّ قول الباري تعالى**(فإن كذبوك)** ويعني المشركين متهكِّماً بهم يلزم منه أنْ يكون قولهم آنذاك: (تكذيب الرسول)، ولكنَّهم إنْ قالوا هذا فقد كذبوا؛ لأنَّه خلاف واقعهم في الدنيا؛ لذا عمد الخطاب القرآني في هذه الآية إلى خرق قاعدة المناسبة، ومنه استلزم أنْ يُفهمَ أنَّ تكذيبهم هذا ((كناية عن الإشراك بالله))، على أنَّ ((صيغة الماضي في **(كذَّبوك)** إنشاء، فهو بمعنى الحال مثل: بعْتُ وطلَّقتُ، أي: نقر بتكذيبك))، ولاسِيَّما بعد أنْ وقع العذاب حقيقة، ومع افتراض مبدأ التعاون والكفاءة التداولية لدى الطرفين وعِلْمُ الله تعالى بحقيقة أمرهم، فُهِمَ أنَّهم ما فعلوا ذلك إلاَّ لأنَّهم لا يريدون أنْ يقرُّوا بخطئهم، فإذا أقرُّوا بضلال مُدَّعاهم في الدنيا لا كلام بعده آنذاك، فلمَّا لم يريدوا الإقرار بشكل مباشر اكتفوا بذكر لازم الشيء، و((إنَّ السائل والمتلقي يعالجان تلك الملفوظات باستدلالات ومعلومات مُستقاة من معارف مستمدة

(١) فاعلية القارئ في إنتاج النص(المرايا اللامتناهية) (مقالة): عبد الكريم درويش ٢٢٢(بحث).
(٢) الأنعام:١٤٧.

من الواقع الخارجي، وبتواضع من أفراد المجموعات المتواطئة على ذلك)) [١]؛ ويرى (غرايس) أنَّ انتهاك المقولة الأولى يجعل المتلقي يبحث في كلِّ التأويلات الناتجة، مع افتراض المتلقي أنَّ المتكلم يقبلها جميعها[٢].

أثارت القواعد التي قدَّمها (غرايس) انتقادات كثيرة، وفتحت هذه الانتقادات بابًا واسعًا لتطوير التداوليات اللغوية، فاقتُرحت عِدَّةُ إضافات، وأُدخلت جملة تعديلات على هذه القواعد؛ بهدف تطويرها لتستجيب إلى المقتضيات والمستجدات التي برزت في مختلف العلوم[٣].

(١) التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي: ٢٩ ـ ٣٠.
(٢) ينظر: الاقتضاء في التداول:٧٢٢.
(٣) ينظر: المفارقات وأسس الحوار، حسّان الباهي:٥٤.

الخاتمـــــة

النتائج

يُستشف مِمَّا تقدَّم من تطبيق مبادئ (غرايس) في الاستلزام الحواري على خطاب القرآن للنبيِّ أدَّت إلى مجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة منها :

١- يقصد (غرايس) بالاستلزام الحواري المُعمَّم هو الاستلزام الذي يدرس التفاعل الخطابي ضمن مقومات لغوية وخارج لغوية يتشاركها المتكلِّم والمتلقي فضلاً عن القدرات الاستدلالية التي تنتج المعنى الاستلزامي.

٢- إنّ قواعد الخرق الأربع (الكم ـ الكيف ـ المناسبة ـ الوضوح) التي وضعها (غرايس) للوصول إلى المعنى المستلزم في الاستلزام الحواري المخصَّص بيَّنت لنا كيف نفسر تأويل المعنى الاستلزامي.

٣- شكل البعد الاستلزامي ملمحاً واضحاً في الخطاب القرآني، إذ كان العلماء العرب على وعي كبير في إدراك مفهوم الاستلزام في بحثهم عن مقاصد الخطاب القرآني المضمر خلف الملفوظ، وهذا ما دعاهم إلى اتخاذ الاستلزام الحواري آلية تأويلية إجرائية؛ لتحقيق الانسجام في الخطاب القرآني .

٤- الاستلزام الحواريُّ المُعمَّم السُّلَّمي المتولِّد بوساطة الأسوار اللُّغوية (كل ـ أغلب ـ معظم ـ كثير ـ بعض) في القرآن الكريم، وكذا الصفات المستلزمة تدرُّجاً سلميّاً لا يخلو من غرض تداولي في آيات النبي (صلَّى الله عليه واله وسلَّم) : إمّا اقناعيٌّ كحوار النبي مع الذين أوتوا الكتاب محاولًا هدايتهم وإقناعهم بالتوحيد، وإمَّا نفسيٌّ ترهيبي كحوار الله تعالى مع رسوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لبيان عاقبة منكري العذاب وتحقُّقِ وقوع وعيد الله تعالى بهم بما اقترفوه باستعمال السور نفسه، وإمَّا عاطفيٌّ اجتماعيٌّ كحوار الله مع المسلمين حينما أبلغهم أنَّ فيهم رسولا لو أطاعهم لأصابهم الهلاك.

٥- مبدأ الكذب عند (غرايس) لا يُرادُ منه كذب الأشخاص في قولهم، وإنَّما أراد به مطابقة هذا القول للواقع وعدمه، فإذا قال قائل قولاً ما مخالف للواقع، فلا يُعدُّ كاذباً؛ لأنَّه قال ذلك لأغراض مضمرة، وما وجدناه في القرآن الكريم وفي الآيات الخاصة بالنبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) من هذه الأغراض إمَّا شخصية كتكذيب المشركين للنبي، وذلك في حديثهم عنه، وإمَّا نفسية كالتهكم، والاستهزاء في الحديث نفسه..... وغيرها كثير.

٦- يتولَّدُ الاستلزام الحواري المُعمَّم بواسطة علامات لغوية تشكل السياق الاستلزامي أو أسوار تجعل منه استلزاماً سُلَّمِيَّاً لأغراض معينة في الخطاب.

٧- اتَّضح من سير العملية التحليلية الإجرائية أنَّ العلاقة الوشيجة كانت واضحة بين الممارسة التأويلية والاستلزام الحواري، فهذان المبدآن يشكلان الركيزة الأساسية في مجمل العملية التخاطبية.

٨- إنَّ السمات التواصلية للخطاب القرآني تجعله من المجالات المعرفية التي يمكن اسقاط الاستلزام الحواري عليها؛ لاكتشاف أطرها العامة في انسيابية المعنى المتواصل؛ إذ تهتم التداولية عامَّة والاستلزام الحواري خاصة بأقطاب عملية التواصل من الباث ومقاصده ، والرسالة وظروفها في السياق التي اسهمت في تشكيله، ومن مستمع يستثمر هذه الظروف السياقية؛ لتكوين معنى لقصد الباث وفهمًا للرسالة.

المصـــــادر والمراجـــع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

- الاتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار، الاسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ط٩.

- الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، دار ابن حزم، الاردن، ط١، ٢٠٠٦م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود(ت ٩٥١هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت د.ط . د.ت .

- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤.

- الاستعارة في الخطاب : إيلينا سيمينو ، ترجمة : عماد عبد اللطيف وخالد توفيق، المركز القومي للترجمة، المغرب، ط١، ١٩٧٠.

- الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة (بحث) ،أحمد المتوكل، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم د. حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط١ ، ٢٠١١م.

- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي ادراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١م.

- اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية مجموعة من الباحثين، عز الدين مجذوب، بيت الحكمة، تونس، الوركاء، ٢٠١٢.

- الإعجاز اللغوي في سورة آل عمران دراسة نحوية وأسلوبية، عطية نايف الغول' دار الجنان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م.

- إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص– سوريا، ط ٣ ،١٩٩٢ .

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : د . محمود أحمد نحلة ، مكتبة آداب ـ القاهرة ، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١ م .
- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد متوكل، منشورات كلية الآداب، دار الهلال العربية، ط١، ١٩٩٣.
- الألفاظ الكلامية والاستلزام الحواري بين القدماء والمحدثين ، د. نادية رمضان النجار، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٩٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٢م،
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت لبنان، تح: محمد صدقي جميل، ط١٤٢٠هـ.
- البراجماتية اللغوية، ستيفن ليفنسون، تر: سعيد البحيري، الاسكندرية، مصر، دار الثقافة ، ط١. ٢٠١٤م.
- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عمران قدور، عالم الكتب الحديثة، أربد _ الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
- بنية الخطاب من الجملة إلى النص، د. أحمد المتوكل، ٢٠٠١م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
- تاج العروس من جواهر القاموس، العلامة مرتضى الزبيدي، شرحا لمعجم القاموس المحيط الذي كتبه الفيروز آبادي، تح: مصطفى حجازي، دار الفكر في بيروت ١٩٩٤م
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت لبنان ١٩٧٦م.

- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين (ت: العثيمين)، أبو البقاء العكبري، ١٩٨٦م، دار الغرب الإسلامي.
- التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور(ت ١٩٧٣م) ، دار سحنون ـ تونس ، (د.ت)
- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : د . محمد محمد يونس علي ، دار كنوز المعرفة ـ الأردن ، ط١ ، ١٤٣٧هـ . ٢٠١٦م .
- تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة: محمد لطفي، منير التريكي، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧م.
- التحليل السيميائي والخطاب، نعيمة سعدية، جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٦
- التداولية : جورج يول ، ترجمة : د. قصي العتابي ، دار العلوم ناشرون، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠١٠م.
- التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام، كنوز المعرفة، ط١، عمان، ٢٠١٦م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل : آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ، ط ١، ٢٠٠٣م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة الدكتور سيف الدين دغفوس والدكتور محمد الشيباني، مراجعة الدكتور لطيف زيتوني ، دار الطليعة ، ط/١ ، بيروت لبنان ٢٠٠٣م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي : د. مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- التداولية عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشيرة، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م.
- التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مجموعة باحثين، تح: د. بشرى البستاني، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن _ بريطانيا، ط١،٢٠١٢م.

- التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، ط/١، اللاذقية سوريا ٢٠٠٧م.
- التداولية واستراتيجية التواصل، د . ذهبية حمو الحاج، دار رؤية للنشر والتوزيع، المغرب العربي، ط١، ٢٠١٥.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين محمد الرازي (ت٦٠٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، بيروت لبنان ١٩٨١م
- التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب للنشر، القاهرة مصر، ط١، ١٩٨٧م.
- التلويح الحواري، هشام عبد الله الخليفة، بيروت لبنان، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٠م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(المتوفى: ٣٧٠هـ)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١، ٢٠٠١م.
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، الطبعة الثانية، طبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر، ١٣٧٣هـ . ١٩٥٤ م .
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 671 هـ، مؤسسة الرسالة' السعودية ٢٠٠٦.
- جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد، دار المختار، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت.

- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية) : د. محمد نظيف ، أفريقيا الشرق ـ المغرب ، ٢٠١٠م .
- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسّان الباهي، أفريقيا الشرق، المغرب ٢٠٠٤م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط٤، ١٩٨٧م.
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، ١٣٤٠هـ، العراق، ط١.
- الخطاب اللساني العربي، د. بنعيسى أزاييط، أربد عالم الكتب الحديثة، عمان الأردن، ٢٠١٢م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت لبنان ١٩٨٧م.
- الخطابة: أرسطو طاليس، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت–لبنان،١٩٧٩.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تح : د أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط١ . ١٩٨٦م.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٦م.
- دروس في البلاغة وتطورها ، جميل سعيد ، مطبعة المعارف بغداد، العراق، ط١، ١٩٥١م.
- دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، محمد محمد موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط٢ . د.ت .
- الدلالة الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند غرايس، رشيد الراضي، مجلة الفيصل، ع٢٨٠.

- دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند غرايس(بحث) وليد حسن، مجلة كلية الآداب، جامعة بسكرة، ٢٠١٦.
- دلالة التركيب لدى الاصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد علي فالح، ط١، القاهرة، مصر، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٧م.
- دينامية النص تنظير وإنجاز، الدكتور محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، دار الثقافة، ط/١، الدار البيضاء المغرب ١٩٨٧م.
- روح البيان في تفسير القرآن ، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، طبعه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط١ . د.ت .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.
- السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة، علي آيت أوشان، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.
- السيمياء والتأويل : روبرت شولز ، ترجمة : سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان ، ط١، ١٩٩٤م .
- السيميائيات التداولية بنياتها وحدودها (دراسات في مشروع عبد اللطيف محفوظ السيميائي) : تنسيق وتقديم : د. أحمد يوسف ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م .
- سيميائيات النص مراتب المعنى، سعيد بنكراد، منشورات الضفاف، ومنشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ٢٠١٨.

- شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ٢٠١١، ط١.
- شرح المفصل ، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت.٦٤٣هـ)، تح : د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل، عبد السلام عشير، ط١، المغرب، أفريقيا ، ٢٠٠٧م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) دار الفكر، بيروت.
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، خليل بن كيكلدي العلائي، تح: حسن بن موسى الشاعر، دار التيسير، القاهرة مصر، ٢٠٠٧م، ط١.
- في التداولية المعاصرة والتواصل: أ. مولز . ك . زيلتمان . ك . أوريكيوني، ترجمة: محمد نظيف، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤.
- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، ط/١، الجزائر ٢٠٠٩م.
- في النحو العربي (نقد وتوجيه)، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت ط١، ١٩٧٤م.

- في قضايا الخطاب والتداولية، ذهبية الحاج حمو، دار كنوز المعرفة العلمية، المغرب، ط١، ٢٠١٦م.

- القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلر. آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعة التونسية، بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد ، دار سيناترا ـ تونس ، ط٢ ، ٢٠١٠م.

- القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلر– ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجذوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، ط٢ ، ٢٠١٠م.

- كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ.

- كتاب العين،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)تح : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال .

- كتاب دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط . د.ت

- اللباب في علوم الكتاب أبي حفص عمر بن علي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٩٨م.
- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- اللغة والتأويل مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي: ناصر عمارة ، الدار العربية للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف– بيروت، ط١ ، ٢٠٠٧م.
- ما التداوليات؟ : بحث: عبد السلام إسماعيلي علوي، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط١ ، ٢٠١١ م.
- مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠١٢م.
- المتخيل والتواصل، محمد نور الدين، دار المنتخب العربي، المغرب، ط١، ١٩٩٣.
- محاضرات في فلسفة اللغة : د . عادل فاخوري ، دار الكتاب الجديد المتحدة . بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣ م .
- المحاورة (مقاربة تداولية) : د. حسن بدوح ، عالم الكتب الحديث ، إربد ـ الأردن ، ط١ ، ٢٠١٢ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(تفسير أبن عطية):عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠١ .
- المحصول في علم أصول الفقه، الرازي أبو عبد الله بن عمر البكري، تح: طه جابر فياض، دار العلوم العربية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٨٧م.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي):عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: سيد زكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- مدخل إلى الألسنية الحديثة، عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٠.
- مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، تر: منذر عياشي، دار الإنماء الحضاري، المغرب، ط١، ١٩٩٣م.
- مدخل إلى دراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل: فرانثيسكو يوس راموس، ترجمة: يحيى حمدي، دار نيبور – العراق، الديوانية، ط١، ٢٠١٤م.
- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث : تدوروف ، فريجة وآخرون، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثُمَّ الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
- معاني القرآن وإعرابه، المنسوب لأبي إسحاق، إبراهيم بن السري الزجّاج (ت٣١١هـ) شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبدو شلبي، عالم الكتب، ط/١، بيروت لبنان ١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة (ت: هارون)، أحمد بزن فارس بن زكريا أبو الحسين، تح: عبد السلام محمد هارون ١٣٩٩ – ١٩٧٩.
- معنى المعنى(دراسة لأثر اللغة في الفكر والعلم)، أوغدن ورتشاردز، ترجمة: كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٥م.
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة العربية، محمد محمد يونس علي، ط١، لبنان، ٢٠٠٧م.
- مغني اللبيب من كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري(ت ٧٦١هـ) حقَّقه وعلَّق عليه، د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله دار الفكر، بيروت _ ط٣ .
- مفتاح العلوم، أبو يوسف بن أبي بكر السكاكي(٦٢٦هـ) عبد الحميد هنداوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

- مفردات ألفاظ القران، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١ – ١٤١٢ هـ.
- مفهوم التخاطب بين مقتضى التهذيب طه عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب، ج١، ١٩٩٤م.
- المقاربة التداولية للإحالة، يوسف السيساوي(بحث) ، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط١، ٢٠١١ م.
- المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو، ترجمة : د . سعيد علوش، دار الأنفاء القومي، (د.ت).
- مقالات في التداولية والخطاب، عمر بلخير، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
- المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبية، أنموذجا، كادة ليلي، ومؤلفين آخرين، ٢٠١٢، الجزائر.
- المنطق والمحادثة: بول غرايس، بحث ضمن إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ترجمة: محمد الشيباني و سيف الدين دغفوس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس ، ط١، ٢٠١٢.
- مهارات الاتصال، علي راشد عيسى، الدوحة قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤.
- المهذب في علم أصول الفقه، عبد الكريم بن علي بن محمد، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ١٩٩٩م، ط١.
- نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل عبد الفتاح الحموز، ط١، ٢٠١٢، دار طوبقال، المغرب.

- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، مصر، علم الكتب، ط١، ١٩٩٨م.
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: فان دايك، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- النظرية البراجماتية اللسانية التداولية(دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ): محمود عكاشة ، مكتبة الآداب ـ القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م .
- نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى: بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط الثانية،٢٠٠٦.
- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، د. أحمد فهد صالح شاهين، ط ١، ٢٠١٥.
- نظرية التلويح الحواري، هشام عبدالله الخليفة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث الغربي الإسلامي.
- نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، دان سبيربر، ديدري ولسون، تر: هشام عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد، المغرب العربي، ٢٠١٥م، ط١.
- نظرية الفعل الكلامي، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوي في التراث العربي والإسلامي: هشام عبد الله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٧م.
- نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس: صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية – القاهرة (د.ط)، ٢٠٠٥ م.

الرسائل والأطاريح:

- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي(تنظير وتطبيق على السور المكية)، د. مثنى كاظم ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.
- الواجب وغير الواجب في كتاب سيبويه، أفراح بت علي المرشد، كلية الدراسات اللغوية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير،١٤٣٤هـ.

الدوريات والمجلات والبحوث

- الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، م. م. كيلان خليل حيدر(بحث)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، م٧،ع١٣، ٢٠١٣م.
- تعديل القوة الإنجازية، تهاني شهل العتيبي، (بحث) مجلة اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ٢٠١٨م.
- سمات الخطاب الإسلامي، متعب القرني، الحوار المتمدن، ع٣١٨٦، ٢٠١٠.
- فاعلية القارئ في إنتاج النص(المرايا اللامتناهية) (مقالة): عبد الكريم درويش ٢٢٢ ، مجلة الكرمل ، العدد : ٦٤ ، ٢٠٠٠م .

In the name of of Allah the Merciful

Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon our Master Muhammad and his pure family. And after:

Honorable Chairman of the discussion committee, respected members of the discussion committee, gentlemen attendance, peace, mercy, and blessings of God be upon you ...

My message is entitled the discursive approach in the Qur'an speech to the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace)…

This study seeks to find out the backgrounds of the dialogue entailment and the principles of Grace and apply those rules to the Qur'an's speech to the Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family), in order to determine the background of the text, and to know its purposes. The principles of discourse analysis are the intellectual (hermeneutical) principle and the linguistic (deliberative) principle, and these two principles are subject, in their conducting an analytical attempt, from which one can arrive at a new cognitive product in reading the Qur'anic discourse and exploring its meanings.

The importance of the subject of the study lies in the fact that it aspires to study the mechanisms of analyzing the Qur'an discourse according to the principles of the dialogical imposition.

Working on building bridges linking an old hermeneutical thought and a new deliberative thought is a hard work that requires a cognitive follow-up of two divergent outcomes that have been prevented by ten centuries of time, and this calls for making a double effort to achieve this approach in a scientific way and in order to prevent the neck of the text from twisting. And the cost of extracting the results.

The subject of the study required that his plan be based on three chapters preceded by an introduction and followed by a conclusion summarizing the most prominent results of the research.

As for the introduction, it went towards describing the relationship between the Qur'anic discourse and the discursive imperative by analyzing the meaning of the Qur'anic discourse and the difference between text and discourse, and then analyzing the relationship of deliberative studies with the Qur'anic discourse.

As for the first chapter, it came under the title of necessity dialogue between Arab and western scholars. This chapter included two studies. The first dealt with the concept of entailment among ancient and modern Arab scholars.

The second topic was held under the title of the discursive necessity of Western scholars, then we followed its features in the books of Grace and those who spoke about it from Western scholars in some detail.

The second chapter, titled Generalized Dialogic Consolidation in the Qur'anic Discourse, included two topics as well, the first of which sheds light on the dialogue entailment generated by the mediation of the walls as a deliberative and procedural concept that greatly contributes to understanding and analyzing the discourse.

As for the second topic, its topic revolved around the impulsivity generated by the signs, in which we talked about the concept of signs and the generalized dialogic impulsion.

As for the third and final chapter, it included the topic of the ad hoc dialogue entailment. In the first part of it we dealt with the topic of the simple ad hoc necessity and its concept as a deliberative dimension that characterizes the breach in Grace's principles. In a certain base.

The other part of this chapter remained, which was held under the heading of composite entailment.

Then we concluded the speech in all the above with a brief conclusion in which we learned the diaspora of sayings, and we highlighted in it the most important results that the research reached, including:

Grace means the generalized dialogic impulsion is the implication that studies the discursive interaction within linguistic and extralinguistic components shared by the speaker and the recipient, as well as the evidentiary capabilities that produce the prescriptive meaning.

The four rules of breach (quantity - quality - appropriate - clarity) that Grace developed to reach the meaning required in the ad hoc dialogical conclusion showed us how to interpret the compulsive meaning.

The imperative dimension was a clear feature of theQur'anic discourse, as Arab scholars were very conscious in realizing the concept of imperative in their search for the purposes of the Qur'anic discourse implicit behind the pronounced, and this is what prompted them to take the dialogue entailment as an interpretive procedural mechanism. To achieve harmony in the Quranic discourse.

In conclusion, I can only extend my thanks and gratitude to the supervising professor, Prof. Dr. Sabah Idan Hammoud, for his opinions and ideas that rectified what was wrong from this study, for he has my sincere friendliness and gratitude.

I also extend my great thanks to the Chairman of the discussion committee and the members of the committee for having responded to this invitation and for the valuable opinions they will express that will lead to this study. May the peace, mercy and blessings of God be upon you.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Maysan/College of Education
Department of Arabic

Discursive approach in the Qur'an speech to the Prophet Mohammed

A Thesis

Submitted to the Council of the College of College of Education, Department of Arabic Language, University of Maysan As a partial Fulfillment of the Requirements For the Degree of Master

By

Hibaa Jabar Jasim

Supervised by

Assist. Prof. Dr. Sabah Edan Hammoud

2021 A.D. 1443 A.H.